الفصل الثالث

الدين والأخلاق والإسلام

لم يخل أي شعب من الشعوب أو حضارة من الحضارات، قديماً أو حديثاً، من «ديانة» يعتنقها أهل ذلك الشعب أو تلك الحضارة، حتى وإن كانت من صنعهم هم أنفسهم. فالشعوب التي تعتنق الديانات الوثنية تصنع تماثيل ورموزاً وأشكالاً تقدسها وتعبدها وتقدّم لها القرابين، أما الشعوب التي تعتنق الديانات السماوية فتعبد إلهاً في السماء تلجأ إليه دائماً. ويؤكد العلماء والباحثون في علم الديانات أن الشعوب والأقوام البدائية في الأدغال، والتي لا تعرف القراءة ولا الكتابة، لها مقدّساتها وآلهتها الخاصة بها. ذلك أن في النفس البشرية جانبين، جانب روحي وجانب مادي، ولا بدّ من إشباع كليهما، حتى يكون هناك توازن في حياة الإنسان. فأي خلل في أي جانب منهما، ينتج عنه خلل في مسيرة الحياة البشرية. من هنا، جاءت ضرورة البحث في الديانات، حتى إنه يوجد في جامعات الدول المتقدمة صناعياً في الغرب شعب متخصصة في علوم الأديان.

لذا، بحث المفكرون العرب في أهمية تمسك الأمم بأديانها، كما تحدثوا عن اختلاف الديانات السماوية عن نظيرتها الوضعية. وكان لا بدّ أن يتطرقوا للدين الإسلامي، آخر الديانات السماوية، ودين غالبية العرب الذي يحتلّ حالياً المرتبة الثانية عالمياً، بعد المسيحية، من حيث عدد معتنقيه، والذي أسهم في تكوين الحضارة الإسلامية التي استطاعت أن تحكم الدنيا لمدة طويلة. وهذا ما سيبيّنه هذا الفصل.

أولاً: الدين والأثر الحضاري

ذكر المفكرون العرب مسميات أخرى للدين، مثل الروح والرسالة والرسالية والإيمان والوحي والعقيدة. وتكوّن منهم فريقان بشأن الدور الحضاري للدين: فريق ينظر لأهميته للنمو والبناء الحضاري ـ وهو الغالبية ـ، وفريق ينظر النظرة المعاكسة.

obeikandl.com

بالنسبة للفريق الذي ينظر نظرة إيجابية للدين: فهم يعتقدون بأن الارتقاء الحقيقي للحضارة إنّما يتمثل في الارتقاء الروحي[1]، وأن الدين عنصر رابط لعناصر التكوين الحضاري الثلاثة، والتي تجمعها المعادلة التالية: حضارة = إنسان + تراب + وقت[2]. فأخطر التحديات التي تصيب الكيان الحضاري، أن يبدأ بالتخلي عن رصيده الروحي والقيمي، مكتفياً بما أفرزته الحضارة من تقنيات مادية، ذلك أن سيادة المبدأ الروحي والفكري الذي يمثل الذاتية الحضارية أمر جوهري لاستمرارية الكيان الحضاري وتواصله التاريخي[3]؛ والتردي الذي وصل إليه العرب والمسلمون إنما يعود لغياب قيمهم الروحية والأخلاقية الخاصة بالذاتية الحضارية للأمة[4].

«**العقيدة**» هي: «العنصر الأول في بناء الحضارة، والعناصر الأخرى كالعلم والاقتصاد وغيرها، إنما هي خاضعة لهذا العنصر الرئيس، فإذا فقدت سلطانها على هذه العناصر اندفعت تلك القوى إلى غير غاية واضحة، وتغلبت عليها إذ ذاك الأهواء التي توجهها بصورة عكسية لأسس الكيان الحضاري»[5]. فلا بدّ لكلّ حضارة من الانطلاق «من عقيدة؛ أي من رؤية خاصّة للعالم، سواء كانت هذه الرؤية تستند إلى الكتب السماوية، أو إلى اجتهادات الفكر الإنساني. إن الحضارة هي حصيلة تحرّك الإنسان بالعقيدة لتغيير الواقع الطبيعي والاجتماعي [...]. ومن هنا كانت أخطر لحظة من لحظات تطوّر الحضارة، هي لحظة نشأة روحها؛ لأنها هي اللحظة التي تتحكم في اللحظات الموالية وتحدّد نوعيتها وتصبغها بصبغتها»[6]. كذلك فـ«التغيير لا يتحقق، والحضارة لا تُبعث ـ كما هو ملاحظ تاريخياً ـ إلا بالعقيدة الدينية، والتعاليم النبوية (معارف الوحي)»[7]. وهنا يُلاحظ إعطاء الأهمية للأديان السماوية على الوضعية، نظراً للحديث عن التعاليم النبوية المرتبطة بالوحي.

---

(1) الخطيب، سليمان. **فلسفة الحضارة**. مرجع سابق، ص69.

(2) المرجع السابق، ص86 ـ 89، ص123 ـ 124.

(3) المرجع السابق، ص225، ونفس الحديث نجده أيضاً في ص285.

(4) المرجع السابق، ص273.

(5) المرجع السابق، ص284.

(6) يتيم، محمد. **العمل الإسلامي والاختيار الحضاري**. مرجع سابق، ص37 ـ 38.

(7) الطريري، عبد الرحمٰن. **العقل العربي**. مرجع سابق، ص11.

وهناك اعتقاد بأن نهضة أي مجتمع محكوم عليها بالفشل والإخفاق إذا لم تنبثق عن عقيدته[1]، إذ العقيدة هي أهم شيء في الحضارة[2]؛ والتفاعل الحضاري الإيجابي يثمر حضارة إنسانية عندما يقوم على أسس عقائدية متميزة، لكن العقيدة المقصودة هنا، هي التي تقوم على أسس من الوحي الإلهي، لا تلك العقائد الوضعية التي تقتصر على التجريب فقط (كالرأسمالية والشيوعية)، ذلك أنها سبب شقاء الإنسان ومعاناته الحضارية[3].

«**الدين**» أحد المعطيات الحضارية، ومؤثر على التفكير والمصطلحات[4]، وشرط أساسي لضمان العطاء والفاعلية الحضارية وبناء مجتمع على أسس جديدة من العدل والإخاء والأمان، ذلك أن العقل البشري لا يُنتج حين يكون صاحبه في تيه وضياع اعتقادي[5]. كما أنه المهيمن «على معنى الحضارة وما تشتمل عليه من معان؛ لأن الحضارة تشكل جزءاً من الدين، وأن الدين أساسها»[6]. لذا، فالعلاقة قوية ما بين الدين والتقدم الحضاري؛ وقد كان تجاهل المعيار العقدي من أسباب أزمة الحضارة المعاصرة[7]. كما أن الدين بداية الطريق الحضاري، شريطة ارتباطه بالعلم في إطار من حرية الفكر والتسامح المستنير، وضمن سياسة عقلانية للتقدم[8]. فالعنصر الديني

(1) يوسف، يوسف إبراهيم. **إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق**. مرجع سابق، ص11، ص39 ـ 43.

(2) أمزيان، محمد حدّو. «الشباب بين التيار الإسلامي والتيار التغريبي»، **مجلة دعوة الحق**. عدد 291 (يوليو 1992م) السنة الثالثة والثلاثون، ص60.

(3) خبيزة، محمد يعقوبي. «حلّ الشريعة الإسلامية لأزمة الإنسان الحضارية»، **مجلة دعوة الحق**. عدد 299 (غشت 1993م) السنة الرابعة والثلاثون، ص95 ـ 97.

(4) الطريري، عبد الرحمٰن. **العقل العربي**. مرجع سابق، ص46.

(5) المرجع السابق، ص81 ـ 82.

(6) الفاعوري، داود. «مكانة الإنسان في الحضارة المادية المعاصرة»، **مجلة دراسات**. المجلد العشرون (أ)، (ملحق) السلسلة (أ) العلوم الإنسانية. ص185، ونفس الحديث في ص210.

(7) الفاعوري، داود علي. «أزمة الإنسان المعاصر من وجهة نظر الإسلام»، **مجلة دراسات**، المجلد التاسع عشر (أ)، العلوم الإنسانية (تموز 1992م) ص318 ـ 320.

(8) السائح، أحمد عبد الرحيم. «الإسلام والحضارة»، **مجلة الإنسان**. العدد الثالث عشر (مارس/ آذار 1995م) السنة الثالثة، ص76 ـ 77. (ولا بدّ من الإشارة إلى أن هذا الموضوع نفسه حرفياً، ولنفس المفكر، موجود **بمجلة الإسلام اليوم**. عدد 12 سنة 1994م).

obeikandi.com

أحد الأبعاد الثقافية للحضارة[1]، و«الدين هو الأخلاق والقيم السامية، وهو قوة الأمة الروحية وأساس نهضتها وتقدمها»[2].

لكن، من الضروري تكامل وشمول الدين، من أجل إقامة النهضة الحضارية، والتقدم العلمي، والتفوق الثقافي. فلا بدّ أن يكون، اعتقاداً وعملاً، عبادة وأخلاقاً، آداباً وسلوكاً ومعاملات، قوانين مدنية وجنائية، وأسلمة لشؤون الحياة كلها في الفرد والمجتمع والدولة[3]. فالإيمان الكامل هو «خميرة النهوض وشرطه»[4]. وهذا الأمر لا يمكن أن يتوفر إلا في الدين الإسلامي، وليس أي دين آخر (وضعياً كان أو سماوياً). وهناك من يتحدث عن أهمية «الروح»، وأن العرب والمسلمين محتاجون إلى الطاقة الروحية الهائلة الموجودة في الدين الإسلامي، كي يحققوا الطفرة الحضارية، ويلحقوا بالسياق العالمي، ويعوّضوا فترة الركود الحضاري التي استمرت قروناً في تاريخهم الأخير[5].

«**الإيمان**» مهم من الوجهة الحضارية، ذلك أن الوقوف عند الثمرات المادية للحضارة فقط، دون الغاية الإيمانية (الروحية) وهي طاعة الله، إنما يهدد الحضارة بالضعف والتخلف والانهيار، وهذا هو الخطر الذي يتهدّد الحضارة الحديثة حالياً[6]. وتوجد أهمية خاصة للإيمان بالله، على اعتبار أن «الإيمان بالله، والبحث عن السعادة، هما أعظم الوسائل التي تساعدنا على التقدم في مجالات العلم والأخلاق والاجتماع، ومن شأنها أن ترقى بنا لبلوغ التقدم المنشود»[7].

من المفكرين من يذكر أهمية «الرسالية» التي هي «مضمون حضاري بالمفهوم

---

(1) هربرت، عبد الحليم. «الإسلام والعلموية الغربية»، **مجلة المنعطف**. عدد مزوج 3/ 4 (1992م) ص139.

(2) الحسيني، حاتم. «هل ماتت القومية والوحدة العربية»، **جريدة القدس العربي** عدد 1226 (الاثنين 26/ 4/ 1993م) ص قبل الأخيرة، عمود 1.

(3) الإمام، أحمد علي. **المستقبل للإسلام**. مرجع سابق، ص62.

(4) حسنه، عمر عبيد. **كيف نتعامل مع القرآن**. مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي. ص126.

(5) العمري، أكرم ضياء. **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**. مرجع سابق، ج1، ص124.

(6) الكيلاني، ماجد عرسان. **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**. مرجع سابق، ص75.

(7) الهلالي، إبراهيم. **نحو بناء مجتمع متقدم**. مرجع سابق، ص399.

obeikandi.com

البشري للكلمة، وقانون في نظام نشأة الحضارة والتطور والسيادة والدخول إلى التاريخ. وبالتالي إذا ضعف الوعي الرسالي في الأمة، ضعفت حضارتها وتفككت وتدهورت، وسقط نظام جامعتها الحضارية وتراجعت شعوبها ـ كما هو مشاهد بالنسبة للعالم الإسلامي اليوم تجاه الآخر الذي استرجع وعيه الحضاري وخرج من السكونية إلى الحركية (الرسالية) كما هو مشاهد في الواقع ـ. وتعطينا هذه النتيجة مجموعة من الحقائق تتعلق بأسباب التطور والجمود، والدخول إلى التاريخ أو الخروج منه، والدخول إلى المعاصرة أو البقاء خارجها، وتُبصّرنا بشروط الانطلاق الحضاري أو اختيار التبعية وهكذا، بحيث لا يمكن تحقيق انطلاقة حضارية أبداً بدون تشبّع بالرسالية الإسلامية ومقوماتها والعمل بمركباتها. إن إدراكنا لقوانين العمل بالرسالية هو إدراك لحقيقة مركزية، ولإشكالية شمولية تمثل مركب القوة، كما يمثل تجاهلها مركب الضعف، ومركب الصعود أو مركب الهبوط»[1].

ويدور حديثٌ كثير على دور الرسالة، والتي تحتل «أهمية رئيسة في نشأة الأمم وتكوينها ومصيرها. وتبدو هذه الأهمية في الأمور التالية:

الأمر الأول: تتقرر مكانة الأمة بين الأمم على المستوى العالمي، بمقدار ما تقدمه من عطاء حضاري للآخرين. وهذا العطاء هو الرسالة التي تحملها الأمة بين الأمم الأخرى، وتضع في خدمتها كافة إمكاناتها ومصادرها البشرية والمادية والمعنوية، وهو ما يسميه المؤرخ البريطاني ـ توينبي Toynbee ـ الأناقة الحضارية.

والأمر الثاني: إن هذا العطاء الحضاري هو الضمان لبقاء الأمم واستمرارها. ذلك أن الأمة التي تتوقف عن العطاء تبدأ بالأخذ. والأخذ الذي لا يرافقه عطاء متبادل، سبب من أسباب الذوبان وفناء الأمم. ولكنه فناء بطيء، لا يراه إلا العارفون بقوانين الاجتماع البشري وسنن التاريخ، ولأنه يتم على مراحل تستغرق كل مرحلة جيلين أو ثلاثة: ففي المرحلة الأولى، تأخذ الأمة الأشياء المادية،

---

(1) العماري، أحمد. «نظرية الاستعداد في خطاب التحديث عند علماء المغرب قبل الحماية» (1246 ـ 1330هـ/ 1830 ـ 1912م)، (أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ المعاصر من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، السنة الجامعية 1413 ـ 1414هـ/ 1992م ـ 1993م) ص170 ـ 171.

كالمنتجات الصناعية والحربية. وفي المرحلة الثانية، تأخذ الأمة الأشياء المادية، كأشكال اللباس والأثاث وأشكال الطعام. وفي المرحلة الثالثة، تأخذ الأمة المظاهر الثقافية، كاللغات ونظم الإدارة والنظم الدبلوماسية والعلاقات الاجتماعية والفنون وأشكال الترويح. وفي المرحلة الرابعة، تأخذ الأمة القيم والمقاييس الاجتماعية والأخلاقية. وفي المرحلة الخامسة، تأخذ الأمة العقائد وعند هذه المرحلة تنهار جميع الحواجز، ويبدأ الذوبان الكامل. والأمم التي تعي قوانين هذا الذوبان، تحاول أن تتجنّبه من خلال تجديد دورها في العطاء الحضاري، واستئناف العطاء، ليتوفر لها البقاء والتميّز في الداخل، والاحترام في الخارج [...].

والأمر الثالث: الذي يمثل أهمية الرسالة في حياة الأمم، هو أن الرسالة حاجة نفسية ـ اجتماعية. والأمم التي تحمل رسالة، تحفظ وحدتها، وتُجنّب مجتمعها من الانقسام والتفتت والحزبية والطائفية والتصارع من أجل المصالح والعصبيات المحدودة [...]. أما حين تغيب الرسالة، فإن الناس تتقاسمهم أهداف فردية ومصالح عصبية، وبذلك تبرز الحزبية والعصبيات، وتشيع الفتن، وتتفرق الأمة إلى فئات متنابذة متصارعة»[1].

يرى البعض أن اختلاف الأديان ذو فائدة حضارية، ذلك أن «هذا الاختلاف ينشأ عنه في الغالب؛ إذا كانت النية حسنة؛ تعاون بين حضارتين، وتلاقح بين تجربتين اجتماعيتين مختلفتين، كلتاهما تأخذ أفضل وأسمى ما وصلت إليه التجربة الأخرى، من نتائج مثمرة، في العلوم، والسياسة، والصناعة، والحضارة الإنسانية. وبذلك يكون هذا الاختلاف بالنسبة للمجتمعات مصدر سعادة، وتقدم؛ لأنه عامل من عوامل تلاقح وتكامل الثقافات، والحضارات، والتجارب الاجتماعية»[2]. فلا خطر من اختلاف المذاهب، بل هذا الاختلاف ضرورة لتكوين حضارة تقتبس من جميع الديانات والحضارات الأخرى، على اختلاف أصولها، ومن الأمثلة على ذلك: الولايات المتحدة الأمريكية، التي تتكون من خليط من الديانات والمذاهب. لكن قد يكون لهذه الاختلافات الدينية والمذهبية خطر على التقدم الاجتماعي

(1) الكيلاني، ماجد عرسان. **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**. ص59 ـ 60.

(2) الهلالي، إبراهيم. **نحو بناء مجتمع متقدم**. مرجع سابق، ص320.

للأمة، إذا لم تستطع الدولة أن تهذّب الميول المذهبية والعقدية في الأفراد والجماعات، ولبنان خير مثال على ذلك[1].

ينبّه بعض المفكرين إلى أمر في غاية الأهمية، يتمثل في أن مجرد «التدين» لا يستتبعه ضرورة الانعتاق الكامل من مخلفات عصور الانحطاط، بل لا بدّ من الترشيد والتوجيه[2]. ولعل المقصود بالتديّن هنا، هو مجرد أداء الشعائر التعبدية، التي هي بالضرورة غير كافية وحدها للتخلص من الانحطاط الحضاري. وفي المقابل، من المفكرين العرب من ينظر للدين نظرة سلبية، بناء على اعتقادهم أن الدين والعقيدة وضعان مناقضان للإبداع[3]، وأن العقائد، مهما اختلفت، لها سقفها القطعي، المناهض لكلّ فكر منفتح[4].

الخلاصة: تعطي الغالبية العظمى من المفكرين العرب أهمية كبيرة لعنصر «الدين» والذي نعتوه بأسماء متعددة، كالعقيدة والإيمان والرسالة والرسالية، ورأوا ضرورته للحضارة والتخلص من الانحطاط الحضاري.

ثانياً: التوازن بين العقل والروح

لا ينكر أي مفكر أهمية «العقل» وضرورته للبناء الحضاري. فالعقل أحد جانبي الحضارة؛ والشق أو الجانب الآخر هو «الروح». لذلك لا بدّ من تكاملهما معاً لتحقيق «الحضارة المنشودة». من هنا، رأى المفكرون العرب ضرورة التوفيق والتكامل بين كلّ من العقل(أو المادة) والدين (أو الروح). وقد نبعت هذه الضرورة من أن «لكل حضارة شطرين: شطراً روحياً، وشطراً مادياً»[5]، وأنه لا يوجد تناقض بين العقل والروح أساساً؛ إذ الروحانية لا تُلغي العقل ولا تُناقضه، وإنما

---

(1) المرجع السابق، ص325 ـ 326.

(2) بها، عبد الله. **سبيل الإصلاح**. المقدمة: فهدي، أبو أسامة عبد الفتاح. الرباط/المملكة المغربية: منشورات **جريدة الراية (2) ط2/ 1995م، ص3.**

(3) علي، حيدر إبراهيم. ندوة: «الإبداع في المجتمع العربي»، موضوع: «الإبداع والتخلف»، ص33 ـ 38.

(4) عبد اللطيف، كمال. **قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة**. مرجع سابق، ص138.

(5) السائح، أحمد عبد الرحيم. **في الغزو الفكري**. مرجع سابق، ص91.

جاء الارتباك من الفهم الخاطئ للروحانية على أنها تعني اللاعقلانية. فالروحانية، مذهب عقلي يعتمد على العقل ويؤمن بقدرته[1].

يوجد اتجاه قوي يعتقد بأن فقد العلاقة التي كانت تربط ما بين العقل والعلم وبين الوحي والدين هي إحدى المصائب الحضارية التي أصابت الأمة[2]. فـ«التخلف والركود والجمود، وسيادة التقليد الجماعي، والاستنفاع الحضاري، كان ولا يزال، بسبب اختلال المعادلة بين هدايات الوحي، ومدارك العقل، وعجز وسائل التربية وأجهزة الدعوة والتشكيل الثقافي، عن إحداث التفاعل بين الإنسان والإسلام، أو بين الوحي والعقل»[3]، والوحي المقصود هنا: الوحي المنزّل على أمة الإسلام؛ لذا يرد التحذير من الخلط ما بين القيم الإسلامية وبين وظيفة العقل، أو الاعتقاد بأن هذه القيم تغني عن العقل؛ فقد أدى هذا الخلط وهذا الاعتقاد إلى الكسل العقلي والترهل الحضاري[4]. من هنا، تكمن مأساة الأمة العربية والإسلامية، إذن، في اختلال علاقة التوازن بين العقل، والذي مجاله علم الدنيا وشؤونها؛ وبين الروح (أو الوجدان أو القلب أو النفس أو ما شابه ذلك من تسميات) والذي مجاله كلّ ما تجاوز عالم الشهادة والحس والتجربة. وهذا الاختلال في التوازن، قد أفضى لانحسار دور العقل، ومن ثمّ العلم، وأثر ذلك بالتالي سلباً على نهوض الأمة[5]. لذلك فالدعوة ملحة إلى تحقيق التوازن بين «النمو المادي» و«النمو الروحي»، ذلك أن «من أخطر الخطر، أن تنمو مجتمعاتنا على أساس الجوانب المادية والتطبيقية وحدها، وتهمل جوانب الروح والجمال والفكر، جوانب الثقافة المعنوية. لأنها ستكون عندئذ مخلوقات بعين واحدة وكائنات وحيدة الرؤية»[6].

---

(1) الجابري، محمد عابد. **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص147 ـ 155.

(2) القديدي، أحمد. **الإسلام وصراع الحضارات**. مرجع سابق، ص93.
الإمام، أحمد علي. **المستقبل للإسلام**. ص51.

(3) حسنه، عمر عبيد. ندوة: «مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر»، موضوع: «مناهج التغيير ووسائله في ضوء الكتاب والسنّة»، ص326.

(4) الطريري، عبد الرحمٰن. المقدمة: حسنه، عمر عبيد. **العقل العربي**. مرجع سابق، ص12.

(5) جلال، شوقي. **التراث والتاريخ**. مرجع سابق، ص33 ـ 38.

(6) الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة باكتشاف الذات**. مرجع سابق، ص248.

توجد إشارة مهمة إلى كيفية تحقيق التوازن بين الروح والعقل في العالم العربي والإسلامي، والتي تتم من خلال عملية الفصل لا الوصل بين الوحي الإلهي والاجتهاد العقلي «كي لا تتحول الاجتهادات العقلية إلى الأصول الثابتة، تُحسب على الوحي المعصوم نفسه، فتعيق حركتنا العقلية الحاضرة، وتسلب حرية مراجعتنا لاجتهادات أسلافنا، ثم تحول بيننا وبين الحركة باتجاه تأصيل حياتنا الفكرية في ضوء التغيرات التي تحدث في عالمنا المعاصر»[1]. ويهدف هذا الرأي إلى نزع صفة القدسية عن الاجتهادات البشرية، لا الانسلاخ عن الدين ذاته.

الخلاصة: يدعو المفكرون العرب إلى تحقيق التوازن بين «العقل» (المادة) و«الروح» (الدين)، من خلال طريقتين، أحدهما: وصل العقل وعلومه بالدين وعلومه، والثاني: عن طريق فصل الوحي الإلهي عن الاجتهادات البشرية العقلية. ولا خلاف جذري بين الفريقين.

ثالثاً: الأخلاق والقيم والأثر الحضاري

تتجلى أهمية «القيم» في رأي بعض المفكرين في كونها «تمثل مراكز الثقل في حضارات الأمم، وشحنات الدفع في مسيرتها [. . .]. كل كيان حضاري، لا يمكن أن يحتفظ بحضارته، إلاّ إذا كانت قيمه الخلقية ثابتة مستقرة، وفي مأمن من التساؤل الفلسفي [. . .] ذلك أن القيم الخلقية المنبثقة عن الرؤية الإيمانية والحس الديني، تكتسب موضوعية في ميدان العلاقات الاجتماعية تُسهم في الدفع الحضاري، وتتأثر حركة الحضارة سلباً وإيجاباً بثبات القيم الروحية والأخلاقية»[2]. لكن، من الضروري الحرص على «أصالة القيم»، والتي تعني «التعبير عن نزوعنا إلى بناء حضارتنا الجديدة في عصر التحرّر الإنساني والإنجازات العلمية الضخمة، استناداً إلى خصوصيتنا، ونشاطنا الإبداعي وخياراتنا المستقبلية. هذه الكلمات الثلاث: الخصوصية، النشاط الإبداعي، والخيارات المستقبلية، تشكل بحدّ ذاتها، وعلى إطلاقها: الحلّ السحري للأزمة الشاملة التي نعيشها»[3]، ذلك أن انعدام

---

(1) عبد الحميد، محسن. **تجديد الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص40.

(2) الخطيب، سليمان. **فلسفة الحضارة**. مرجع سابق، ص140 ـ 142.

(3) الجباعي، يوسف. **ثقافة الطفل العربي**، موضوع: «إشكالية الأصولية والهوية». ص142.

الارتباط ما بين القيم والمجتمع العربي، سيجرّ إلى اغتراب الإنسان العربي عن ذاته وماهيته وعن الآخرين، وهذا بدوره سيؤدي لتفكك المجتمع العربي؛ وهو من أسوأ الظواهر التي تصيب المجتمعات البشرية[1].

فلا بدّ أن تتم أية محاولة للنهوض في ضوء معايرة الماضي التاريخي للأمة، في ضوء قيمها في الكتاب والسُّنَّة. وإن استمرار التخلف، والركود، والتراجع، إنما هو بسبب معايرة الواقع الذي يعيشه العرب والمسلمون بتاريخ وقيم حضارية أخرى، غريبة عن أصوله وقيمه الحضارية، وبعيدة عن ماضيه. كما لا بدّ من ارتباط الأمة بقيمها الأصيلة؛ لأن ارتباطها، في المقابل، بقيم حضارية خارجية لن يؤدي إلا لتخلفها. لذلك فإن جعل «القيم الحضارية الغربية» معياراً للأمة العربية والإسلامية، لم يورّثها إلا مزيداً من التبعية والانحطاط[2]. والأزمة الحضارية التي يعاني منها العرب والمسلمون، وغيابهم الحضاري، سببه عجزهم عن التعامل مع قيمهم[3]. فالدين عنصر مهم في بلورة قيم الأمة؛ وهذه القيم تُعتبر مقياساً صحيحاً للتقدم والحضارة[4]. وتوجد إشارة مهمة إلى ضرورة «ثبات القيم»، على اعتبار أن القيم الخلقية الثابتة هي دعائم الحضارة المثلى والتقدم الحقيقي[5].

إن ارتباط القيم الوثيق بالثقافة والحضارة يجعلها معطى حضارياً مؤثراً في بناء العقل وتركيبته[6]. وقد قامت الحضارة العربية والإسلامية على ركن شديد من «القيم الأصيلة» الحارسة لأسباب الرقي البشري: كالعدل، والإحسان، والمساواة، والصدق، والعفاف، والأمانة... إلخ[7]. من هنا، لا بدّ من تركيز الاهتمام على

(1) القدسي، محمد ثائر. «الإنسان والمنظومة القيمية في المجتمع العربي الاستهلاكي»، **مجلة الوحدة**. عدد 92، ص74.

(2) العمري، أكرم ضياء. المقدمة: حسنه، عمر عبيد. «**قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**». مرجع سابق، ج1، ص34.

(3) العلواني، طه جابر. المقدمة: حسنه، عمر عبيد. **إصلاح الفكر الإسلامي**. ص3 ـ 4.

(4) الدجاني، أحمد صدقي. «إشكالية التحيز»، موضوع: «التحيز في المصطلح»، ج1، ص147.

(5) الهلالي، إبراهيم. **نحو بناء مجتمع متقدم**. مرجع سابق، ص282 ـ 283.

(6) الطريري، عبد الرحمٰن. **العقل العربي**. مرجع سابق، ص51 ـ 52.

(7) الإمام، أحمد علي. **المستقبل للإسلام**. مرجع سابق، ص44.

obeikandl.com

«القيم المعنوية»، إذ الحضارة لا تنطلق من تقديس المادة فقط[1]. ويُعتبر «إنتاج القيم» أحد أهم الوظائف الحضارية، في حين أن عدم إنتاجها يؤثر بشكل مباشر على الإنتاج الفكري والمادي في الميادين المختلفة[2]. كما أن هناك تحذيراً شديداً من تضييع وهدر القيم وانحلال رباطها، والذي سيؤدي إلى التخلف وتبدّد معالم الحضارة[3]. وتؤكد الكثير من الدراسات على أن جمود القيم يعمل ـ في الغالب ـ على إعاقة عملية التنمية وبرامجها[4]. و«يتأكد اليقين في صفوف المفكرين العرب، أن أي نظام يبدأ بنسف القيم الحضارية، ويحمل الناس على الارتداد الثقافي والتجنس الفكري، يفرز من ذات منطقه بذور الفشل»[5].

يوجد من يذكر مصطلح «المُثُل»، ويعتبر أن الحضارة ما هي إلا مجموعة من المُثل، وإذا بدأت تلك المُثل بالزوال عن طريق الانحراف الفكري، دلّ ذلك على بداية انحدار الحضارة[6]. في المقابل، يرى بعض المفكرين ضرورة مرونة القيم وعدم ثباتها؛ لذا يدعون إلى إعطاء الاعتبار للقيم الريبية، وقيم النفي والسلب، وقيم التأصيل، على اعتبار أن ذلك سيقرّب العرب من دائرة الكتابة الفلسفية، وبالضبط دائرة الفلسفة السياسية، أو الفلسفة الحضارية المطابقة لصراعات التاريخ المعاصر، كما أنها ستمنع تحويل الفلسفة إلى مجرد أداة للتبرير[7].

بالنسبة لـ«الأخلاق»: يرى العديد من المفكرين العرب ضرورة الأخلاق، ذلك

---

(1) السباعي، كاظم. «الاستقلال المنهجي الحضاري»، **مجلة الكلمة**. عدد 8 (صيف 1995م) السنة الثانية، ص19.

(2) الموصلي، حامد إبراهيم. «إشكالية التحيز»، موضوع: «تأملات عن التكنولوجيا والتنمية من منظور حضاري»، ج1، ص767.

(3) جلال، شوقي. **التراث والتاريخ**. مرجع سابق، ص76.
السايح، أحمد عبد الرحيم. **في الغزو الفكري**. مرجع سابق، ص119.
الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (2)**. مرجع سابق، ص87.

(4) عبد العليم، عفاف. **التنمية الثقافية**. مرجع سابق، ص288.

(5) الفيلالي، مصطفى. ندوة: «حرب الخليج ومستقبل العرب»، موضوع: «حرب الخليج تمهيد للنظام الإقليمي العربي الجديد»، ص105.

(6) غلاب، عبد الكريم. **من اللغة إلى الفكر**. ص195.

(7) عبد اللطيف، كمال. ندوة: «الثقافة والمجتمع في المغرب العربي»، موضوع: «الفلسفة والهاجس السياسي في عوائق الكتابة الفلسفية المغاربية»، ص69.

أن تقدم العالم العربي والإسلامي إنما يكون بارتباطه بالأخلاق (الأخلاق والمبادئ الإسلامية على وجه الخصوص)[1]، حيث إن السيطرة على الطبيعة وحدها لا تكفي لبناء الحضارة، بل لا بدّ كذلك من سيطرة الإنسان على نوازعه وشهواته لتكون منضبطة بالقيم الخلقية والدينية للأمة[2]. وقد أصبح «البعد الأخلاقي» أحد المقاييس المعتمدة حالياً في قياس التقدم والتنمية. والتغيير لا يكون إيجابياً ومحموداً ومرغوباً إلا باكتسابه مفهوماً معيارياً أخلاقياً لا يُخلّ بالقيم[3]. فالرأي السائد، أنه لا يمكن للحضارة الاستغناء عن الأخلاق؛ لأن «الحضارة التي تقوم على العلم وحده، وتترك جانب الأخلاق؛ حضارة منهارة، لا تلبث أن تحطم نفسها بنفسها. وقد يكون بمرض من الأمراض الاجتماعية أو بحرب ذرية تهلك الحرث والنسل، وتقضي على الأخضر واليابس؛ لأنه ليس هناك صمام أمن من الأخلاق، ولا طوق نجاة من الضمير»[4]. فـ«لا حضارة تُشيّد، ولا معرفة تنفع، ولا علم يُفيد ولا صناعة ولا تكنولوجيا تخدم الإنسان فعلاً، إلا ما دامت الأخلاق هي المنطلق وهي المرجع»[5].

هناك اتجاه يدعو إلى «التجديد الحضاري الأخلاقي» من أجل خدمة التجديد في المشروع العربي الإسلامي. وهذا التجديد الحضاري الأخلاقي ليس خطاباً في الأصالة يخص الذات الماضية وحدها، أو خطاباً في المعاصرة يخص الآخر وحده، بل هو جواب على تحدّيات راهنة محورها وقطبها الإنسان أولاً وأخيراً[6].

يوجد تحذير، في المقابل، من غياب الأخلاق على الحضارة، ذلك أنه من دون الأخلاق سيبقى «الوطن العربي بكامله، أسير الاستغلال والتخلف والقهر

---

(1) الهلالي، إبراهيم. **نحو بناء مجتمع متقدم**. مرجع سابق، ص157 ـ 158.

(2) زقزوق، محمود حمدي. «الحضارة فريضة إسلامية»، **مجلة المسلم المعاصر**. عدد 63، ص37.

(3) الدجاني، أحمد صدقي. «أفكارنا في التغيير»، **مجلة الأكاديمية**. عدد 11 (1994م) ص75.

(4) عثمان، أمين محمد. «لا بدّ من قيادة إسلامية للحضارة العالمية»، **مجلة الوعي الإسلامي**. عدد 321، ص58.

(5) شفيق، محمد. دورة: «المعرفة والتكنولوجيا»، موضوع: «المسالك المعرفية بين التقليد والتجديد»، ص50 ـ 51.

(6) كوثراني، وجيه. **مشروع النهوض العربي**. مرجع سابق، ص44.

الداخلي. كما يبقى تحت رحمة الاستعمار والصهيونية اللذين هما العاملان الأساسيان لمنع النهوض والاستقلال والوحدة وبناء الدولة العربية، دولة الحريات والعيش المشترك والتقدم»[1]. ويبرز التنبيه كذلك من خطورة «الفساد الخلقي»، والذي يُفقد المجتمع مقومات وجوده الأساسية، عقدياً وفكرياً وثقافياً وأخلاقياً وإنتاجياً ووجوداً ونمط حياة[2]، «فإذا كانت أخلاق الأفراد والجماعات ومسالكهم، قويمة وسليمة: تماسكت الأمة وصلح أمرها، وحققت نهضتها، واقتربت من غاياتها. وإذا كان الأمر عكس ذلك انفرط عقد الأمة، وساءت حالها، وانحطت أوضاعها، وابتعدت من غاياتها»[3]. ومشكلة الحضارة المعاصرة أنها تعاني «أزمة أخلاق»[4].

وتُعتبر أزمة القيم الاجتماعية والثقافية وانهيار الأخلاق والقيم داخل المجتمعات العربية إحدى الظواهر الدالة على التخلف العربي[5]. وقد نتجت هذه الأزمة عن حيرة الانتماء لقيم متنافية تتأرجح بين نظام قيم جامد لم يعرف كيف يتطور لمواجهة التحديات الجديدة من جهة، ونظام قيم مستورد لا يتلاءم مع الواقع المنقول إليه ولا مع مشاكله الحقيقية من جهة ثانية[6]. بل يذهب البعض إلى حدّ اعتبار أن انعدام الأخلاق في العالم العربي والإسلامي ليس مجرد ظاهرة من ظواهر تخلفه، بل هو العلة المباشرة للتخلف الذي يعانيه العرب والمسلمون اليوم[7]. ومعالجة هذا التخلف الحضاري بحاجة أولاً لتصحيح العقيدة وتقويتها في النفوس، وثانياً بتصحيح القيم الخلقية التي تمّ إخراجها عن مفهومها الحق في عصور الانحطاط، إذ تحوّل الصبر مثلاً، من الصبر على مشاق العبادة والجهاد ومصاعب

---

(1) ضو، أنطوان. حلقة دراسية: «الدين والسياسة في لبنان»، حلقة دراسية عقدها مركز دراسات الوحدة العربية، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 173، 7/ 1993م، ص126.

(2) شفيق، منير. **قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري**. مرجع سابق، ص56.

(3) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. ص153 ـ 154.

(4) المنجرة، المهدي. **الحرب الحضارية الأولى**. ص82 ـ 83.

(5) المرجع السابق، ص281 ـ 283.

(6) المرجع السابق، ص286.

(7) بنمسعود، عبد المجيد. «أزمة القيم وإشكالية التخلف الحضاري»، **مجلة المنعطف**. عدد مزدوج 3، 4 (1992م) ص45.

obeikandl.com

بناء الحياة إلى دعوة للخنوع واستساغة المذلة والطغيان[1]. فلا ينكر أحد «أن أزمة أخلاق الفرد العربي بخاصة، والعالم العربي بعامة، هي السبب وراء تخلفنا وسوء أوضاعنا»[2].

الخلاصة: يرى المفكرون العرب ضرورة «الأخلاق» و«القيم» لأية حضارة، ويحذرون ـ في المقابل ـ من انعدام الأخلاق والقيم الخلقية. ويشيرون إلى أن العالم العربي يعاني «أزمة أخلاقية»، وهي السبب في الوضع العربي الرديء. وهم يدعون إلى ربط الأخلاق والقيم بذاتية المجتمعات العربية ودينها، على اعتبار أنه السبيل لحلّ الأزمة الخلقية.

رابعاً: من القيم والمظاهر الحضارية

ذكر المفكرون العرب في كتاباتهم مجموعة من «القيم والمظاهر الحضارية»، والتي لها أثر مهم على الحضارة بشكل عام، وعلى الأمة العربية وحضارتها بشكل خاص. من أهم هذه القيم والمظاهر:

ـ **التسامح**: عندما يتحدث بعض المفكرين عن الحضارة، فإنما يعنون بها «قيم التسامح»، ويرون أن من حق كلّ الحضارات أن تعيش وتتمتع بالحرية. وأكبر تحديات المستقبل يتمثل في بناء نظام عالمي مبني على التسامح والاحترام بين الحضارات[3]. وقد كان التسامح ملازماً للدولة المدنية؛ والنهضة العربية في سعيها للتحديث وترسيخ المجتمع أكدت على هذا المفهوم[4]. ومن الضروري للعرب استعادة مفهوم «التسامح» الذي هم بحاجة له، ذلك أنه متعلق بمشروعهم التحديثي، وسيُسهم في تجاوزهم لعوائق مشروعهم النهضوي المأمول[5].

ـ **ضبط الانفعالات**: تتجلى أهمية هذه القيمة في كون الأمم المتحضرة

---

(1) المرجع السابق، ص51.

(2) دروزة، أفنان نظير. «أزمة أخلاق وراء تخلف العرب الراهن»، **جريدة القدس العربي**، عدد 1298، ص11، عمود 3.

(3) المنجرة، المهدي. **الحرب الحضارية الأولى**. مرجع سابق، ص49.

(4) عصفور، جابر. **هوامش على دفتر التنوير**. مرجع سابق، ص269.

(5) عبد اللطيف، كمال. ندوة: «المجتمع المدني في الوطن العربي»، من التعقيبات، ص218.

وحدها هي التي «تتميز عن الآخرين بضبط الانفعال، انفعال الفرح الزائد والتمدد المنفلش[1] وقت الانتصار، وانفعال الندب وشق الجيوب والصراخ المتشنج وقت المصائب. والقرآن الكريم عندما أدّب العرب بمثل هاتين الآيتين: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37]. كان يهدف إلى أخذ النفس العربية، والنفس الإنسانية كافة، بهذا الانضباط الحضاري في الحالتين، والابتعاد عن الإسراف في السلوك والتعبير، مرحاً... أو ترحاً»[2].

ـ **التواضع**: تبرز قيمة التواضع في ارتباط التقدم بها، إذ «لا يتقدم، إلا من يتعامل مع نفسه بوصفه الأقل تقدماً»[3].

ـ **قدسية الحقوق والواجبات**: يعطي المفكرون أهمية خاصة لهذه القيمة؛ ويعتقدون بأن عودة الاهتمام بقدسية الحقوق والواجبات في العالم العربي والإسلامي إنما هو إشارة وإرهاص لعودة هذا العالم إلى الحضارة من جديد[4].

ـ **القدوات (الرموز الاجتماعية)**: هنالك اعتقاد بأهمية «القدوات» للحضارة؛ وهذا الشخص القدوة يأخذ نعوتاً متعددة كالبطل القدوة، والرمز البطل. وبعض الثقافات تعمد لإيجاد البطل القدوة، وتحيطه بهالة من البطولات والقصص والحكايات، نظراً لأن له تأثيراً مهماً على سلوك وعقول وقلوب الناس[5]. كما توجد إشارات إلى أهمية «القدوة الصالحة» التي تؤدي للنهضة، بعكس «القدوة الفاسدة» للأفراد التي تؤدي للدمار لا محالة[6]. في حين يذكر البعض مصطلح «العظماء»، والذين تتجلى أهميتهم في أن «الدول لا ترتقي إلا إذا كان رأسها رجال عظماء، فإذا افتقدتهم تداعي كل شيء»[7]. ويتحدث آخرون عن «رجال الإيمان»،

---

(1) هكذا وردت الكلمة في الأصل، ولعله يقصد بها: الزائد عن الحدّ.
(2) الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة**. مرجع سابق، ص90.
(3) حرب، علي. **أوهام النخبة**. مرجع سابق، ص115.
(4) العمري، أكرم ضياء. **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**. مرجع سابق، ج1، ص65.
(5) الطريري، عبد الرحمٰن. **العقل العربي**. مرجع سابق، ص49 ـ 50.
(6) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. مرجع سابق، ص158.
(7) قدّور، يوسف. «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي»، موضوع: «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي في ضوء واقعه المعاصر»، ج2، ص100.

obeikandi.com

ويعتبرونهم صنّاع الحضارات، وأنهم الذين أسسوا النهضة والحضارة في التاريخ العربي والإسلامي[1]. ويبرز، في هذا المقام، مصطلح «الرمز الاجتماعي» الذي هو شخص يمتاز بمؤهلات تشدّ الناس إليه، فيبادرون لتقديس الجانب الأبرز فيه، ثم يقودهم التعلق بذلك الجانب تدريجياً إلى جعل الرمز مقدساً كله، فينسجون حوله الأساطير. وليس معيباً أن تُقدّر الأمم أبطالها الذين صانوا قيمها وكرامتها، لكن التقدير، في النهاية لا يساوي التقديس. ولا يجوز أن يتحول البطل القومي إلى قدّيس قومي؛ أي عاص عن النقد وفوق الشبهات، وتتحول الأمة إلى فريق عمل مهمته تأويل المواقف والممارسات حتى لا ينخدش موقعه المعنوي في ذاكرة الأجيال، ولهذه الآفة آثار تربوية وحضارية مدمرة. وهذا الرمز الاجتماعي الذي يتمتع بهذه المكانة مؤهل لإحداث تغييرات واسعة في المجتمع[2]. كما يرد الكلام عن «أهل الملحمة» الذين لهم عقيدة وإيمان يدافعون عنه، والذين تقوى بهم أمتهم وتعزّ بين الأمم. والمعاكس لهم «أهل المشأمة» الذين لا ذمة لهم ولا ضمير، وبهم تنحدر أمتهم وتهن وتموت[3]. فمن الخطورة تقديس الأشخاص أو اتخاذ «الأشخاص الآلهة»؛ لأن في ذلك انحطاطاً للأمم وانمحاء وزوال لها، فقد أدى تقديس اجتهادات الأفراد في العالم العربي والإسلامي إلى نمو العجز عن التجديد والتغيير، ومن ثم أدى لتكريس التخلف، ولا يمحو ذلك إلا الإسلام[4].

ـ **الولاء للأمة**: يعزو بعض المفكرين تخلف المجتمعات العربية والإسلامية إلى ولائها المحدود الذي ينتهي عند دائرة «القبيلة» أو «الطائفة»، مما يجعل جهود الفرد ونشاطاته واهتماماته تتحدد بحدود دوائر القبيلة والطائفة وبما يكفي احتياجاتهما المحدودة، مما يؤدي لأن تصبح أهدافه وطموحاته صغيرة، ونشاطاته في المعرفة والعمل والإنتاج أقل. ويعود تفوّق مجتمعات أوروبا وأمريكا واليابان

---

(1) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (2)**. مرجع سابق، ص196.

(2) جابر، حسن. «أعراض الاجتماع السياسي في التاريخ الإسلامي» (نموذج الأيوبيين)، الافتتاحية: «شخصية البطل في اللاوعي الاجتماعي»، محور العدد، **مجلة المنطلق**. عدد 100، 101 (نيسان/أيار 1993م) ص4 ـ 5.

(3) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (1)**. مرجع سابق، ص197.

(4) المرجع السابق، ص75 ـ 77.

الطريري، عبد الرحمٰن. **العقل العربي**. مرجع سابق، ص19.

إلى أن ولاء الفرد والجماعات عندهم يمتدّ حتى دائرة «القوم»[1]. فسعة الولاء يتولد عنه سعة الحضارة، ومحدودية الولاء يتولد عنه ضعف الحضارة ومحدوديتها. لذلك، فمن الضروري أن يكون الولاء عندنا للأمة كلها لأنه مظهر لصحة الأمة وعافيتها[2].

ـ **الأمانة والاستخلاف**: ينظر بعض المفكرين لهاتين القيمتين على أنهما قيمتان خالدتان؛ وأن التفريط فيهما هو الذي أدى إلى عهود الضعف والانحلال والتشرذم التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية[3]. والمُعاكس لهاتين القيمتين هو «خراب الذمم»، ذلك أن الذمم إذا خربت؛ انهزمت الأمم وانتهت الحضارات[4].

ـ **الأخوة والتآلف**: هناك اعتقاد بأن هاتين القيمتين هما قوام الأمم وعزها ونهضتها[5].

ـ **غض البصر وعدم الإباحة الجنسية**: يُنظر لغض البصر، وما يستتبعه في السلوك والاهتمامات والتصورات، على أنه نماء لطاقة الدفع الحضاري وللعبقرية الإبداعية، إذ بذلك ينخرط كلّ من الرجال والنساء في العملية التنموية النهضوية، بدلاً من أن يكون التبرج الاجتماعي شكلاً إبداعياً تعويضياً عن إبداعية الإنتاج. وقد كان انعدام الإباحية الجنسية وراء كل عبقرية ونهضة[6].

الخلاصة: أعطى المفكرون العرب اهتماماً بارزاً للقيم والمظاهر الحضارية، نظراً لأثرهما الحضاري، ونبّهوا إلى بعض السلوكيات المعاكسة لتلك القيم، على اعتبار أنها خطر على الحضارة بشكل عام، وعلى الحضارة العربية المنشودة بشكل خاص.

---

(1) الكيلاني، ماجد عرسان. **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**. مرجع سابق، ص110.

(2) المرجع السابق، ص115.

(3) القديدي، أحمد. **الإسلام وصراع الحضارات**. مرجع سابق، ص123.

(4) دياب، محمد عبد الحكيم. «غياب المشروع العربي حوّل السياسة العربية إلى سمسرة»، **جريدة القدس العربي**. عدد 2347، ص15، عمود 5.

(5) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (2)**. مرجع سابق، ص50.

(6) الأبيض، أحمد. **فلسفة الزي الإسلامي**. مرجع سابق، ص19 ـ 20.

خامساً: الدور الحضاري للإسلام

تبرز أهمية الإسلام لدى المفكرين العرب في قدرته «على النهوض بالأمة المرة تلو المرة، بعد كل كبوة أو هزيمة أو انهيار»[1]. فهو يمثّل فكر الأمة وأحد الأسس المكينة لنهضتها[2]. كما أنه يُعتبر، فوق ذلك، نظرية تحررية ضدّ كل مظاهر الاستلاب الثقافي واللغوي التي خلّفها الاستعمار بكل ألوانه[3]، فهو ليس ضدّ حرية التعبير، بل لا توجد فيه حدود للتعبير عن الرأي؛ وهذه الحرية بدورها ضرورة لتحقيق التقدم، إذ بدونها لا يمكن إنجازه[4]؛ وهو يضم بين ثناياه قيماً تحضّ على العمل والاجتهاد والتقدم[5]. لكن تظهر دعوة تطالب بإعمال التجديد في الإسلام؛ ذلك أن «المستقبل الممكن والمنشود، والذي نحن بصدده، يرتكز أساساً إلى تجديد الإسلام؛ إسلام الاجتهاد، وليس إسلام التقليد الذي كان وراء سقوط حضارة ابتعدت تدريجياً عن مهمة الخلق والإبداع اللذين واصلهما المسلمون إلى يوم أعلن فيه بعض الفقهاء جزافاً، إغلاق باب الاجتهاد»[6]. فمن الضروري القيام بالتغيير الذي يتفق مع الأصول الإسلامية الراسخة[7]، إذ أن مستقبل الأمة مرهون بجعل الإسلام المحور والمرتكز لكل جوانب الحياة[8]، ولا بدّ من التأكيد على أن التشبّث بالدين الإسلامي هو أحد شروط النهوض العربي، كي يدرأ العرب عن أنفسهم السقوط في ما وقع فيه الغرب من أزمات روحية وقيميّة[9].

إن الإسلام «حضارة كاملة بأبعادها جميعاً... ومعنى أنه حضارة: أنه سيكون فيه تشريع إلى جانب التربية، والتوعية الخلقية، والأحكام الدولية... إلى

---

(1) فتاح، حميد. **الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة تحدياته**. مرجع سابق، ص182.
(2) عصفور، جابر. **هوامش على دفتر التنوير**. مرجع سابق، ص141.
(3) المنجرة، المهدي. **الحرب الحضارية الأولى**. مرجع سابق، ص118.
(4) المرجع السابق، ص173.
(5) المرجع السابق، ص360.
(6) المرجع السابق، ص253.
(7) المرجع السابق، ص274.
(8) المرجع السابق، ص294.
(9) المرجع السابق، ص363.

جانب المقاصد الكثيرة الأخرى التي تكمل الصورة»[1]، فهو «دين ودولة، دين ومجتمع، دين وأسرة، دين وحضارة»[2]. والحياة التي يقدمها الإسلام ما هي إلا «ارتقاء كامل بمشاعر الإنسان ومواهبه، ارتقاء كامل بحضارة الأمم وأهدافها»[3]. ولن يكون التغيير الإيجابي في العالم العربي والإسلامي إلا بالإسلام وحده؛ كما أن التزامه، عقيدة ومنهجاً ونظاماً، سيحدّد الاتجاه الصحيح نحو الوحدة[4]، إذ هو طريق وضرورة للوحدة، واستبعاده من طرف المشاريع النهضوية والإصلاحية والتنموية العربية والإسلامية أدى لفشل هذه المشاريع، ودفع بالأمة إلى هوة سحيقة من الضعف والتخلف والضياع والتبعية للخارج[5]، وهو إضافة لذلك دعوة للعدل والتقدم والحرية[6]، وله قدرة فعالة على التغيير الحضاري الشامل[7]؛ ولذلك فحضارته هي التي ستسود هذا العالم، إذ الجميع بحاجة إليها لسبب بسيط هو أنها من خالق ومنظم ومدبر الكون كله[8]. فكان لا بدّ من الاستناد للشّرع وللتجربة الإسلامية التاريخية؛ لأن ذلك سبيل لتلبية شروط النهضة الشاملة، وما تتطلبه من تنمية على مختلف الأصعدة، وبما يخلّص الأمة من حالة التبعية السائدة[9]، وذلك

---

(1) الغزالي، محمد. **كيف نتعامل مع القرآن**. مرجع سابق، ص72.

(2) المرجع السابق، ص170.

(3) الغزالي، محمد. «الحق المر»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 6277 (الأحد 4/ 2/ 1996م) ص10.

(4) شفيق، منير. **قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري**. مرجع سابق، ص61 ـ 63.

(5) المرجع السابق، ص116 ـ 117.
بنمسعود، عبد المجيد. «أزمة القيم وإشكالية التخلف الحضاري»، **مجلة المنعطف**. عدد مزدوج 3، 4 (1992م) ص47 ـ 50.

(6) أشمل، محمد بلال. «فلسفة الإعلام في الإسلام: علامات ودلالات»، **مجلة رسالة الجهاد**. عدد 100، ص45 ـ 46.

(7) طه، مصطفى محمد. «الحضارة الإسلامية بين التحدي والاستجابة»، **مجلة الدارة**. العدد الثاني (8، 9، 10/ 1990م) السنة السادسة عشرة، ص17.

(8) المرجع السابق، ص25 ـ 26.

(9) شفيق، منير. **قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري**. مرجع سابق، ص125.
يتيم، محمد. **العمل الإسلامي والاختيار الحضاري**. مرجع سابق، ص5.
حسن، سيد دسوقي. «الهيكل الحضاري للتنمية»، **مجلة منبر الحوار**. العددان 23، 24، ص149، ص157 ـ 162.
زقزوق، محمود حمدي. «الحضارة فريضة إسلامية»، **مجلة المسلم المعاصر**. عدد 63، ص33، ص41.

obeikandi.com

بما يمتلكه من نص سماوي سليم من التحريف والتبديل، ومن قيم معصومة في الكتاب والسُّنَّة، ومن نموذج تطبيقي معصوم، ومن عقيدة التوحيد[1]. بل إن الارتقاء العلمي الذي حققه العرب والمسلمون في الماضي إنما كان بسبب الإسلام[2].

لذلك، أدرك الغرب الاستعماري أهمية الإسلام لنهضة الأمة، كما وعى هذا الغرب أن سيطرته على العالم العربي والإسلامي لن تكون بوجود الإسلام، فقام بشن حرب شعواء عليه بضربه وتهديم مقوماته الأساسية[3]. من هنا، لا بدّ من التأكيد على أن «تحرر الأمة من السيطرة الاستعمارية (الإمبريالية)، أو إنجاز نهضتها الحقيقية، التي توحّدها وتحقق استقلالها، وتجعلها تأخذ مكانتها المرموقة في مختلف المجالات الرسالية، والعلمية، والتقنية، والثقافية والمادية، والإنتاجية، لا يمكن أن يتحقق بين ظهرانينا: إلا من خلال الإسلام، ومن خلال تشجيع كل الجوانب الأخلاقية والمسلكية الحميدة التي ما زال الشعب متمسكاً بها»[4].

كان للإسلام «أثر كبير في وحدة الفكر العربي ووحدة التفكير والممارسة الفكرية والإدارية والحياتية، بلغة واحدة هي العربية»[5]. كما أنه منح الانطلاقة الحقيقية للفكر العربي، كعملية ذاتية وكعملية ممارسة لما وراء الطبيعة، وللطبيعة، وللإنسان، وللعلوم الإنسانية والتجريبية؛ فأحدث توازناً مهماً جداً بين الروح والمادة، بين الدنيا والدين، بين العقل من جهة، والقلب والضمير والعاطفة من

= الفاعوري، داود. «مكانة الإنسان في الحضارة المادية المعاصرة»، **مجلة دراسات**. المجلد العشرون، ص186، ص210.

العبدلاوي، إدريس العلوي. «الشباب والتنمية في نظر الإسلام»، **مجلة دعوة الحق**. عدد 284 (يوليو 1991م) السنة الثانية والثلاثون، ص56.

ملكاوي، فتحي. «الخطاب الإسلامي الحضاري»، **مجلة الكلمة**. عدد 12، ص15.

(1) الإمام، أحمد علي. **المستقبل للإسلام**. مرجع سابق، ص12 ـ 21.

(2) السايح، أحمد عبد الرحيم. **في الغزو الفكري**. مرجع سابق، ص17.

(3) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. مرجع سابق، ص7، ص108 ـ 109، ص114.

شفيق، منير. **الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر**. تونس: دار البراق للنشر، لبنان: الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/ 1991م، ص108، ص138 ـ 141، ص173 ـ 183.

(4) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. مرجع سابق، ص154 ـ 155.

(5) غلاب، عبد الكريم. **من اللغة إلى الفكر**. مرجع سابق، ص104.

جهة أخرى. وبهذا حرّر الإسلام الفكر العربي من عبثيته، وفتح له ميادين المعرفة والحركة الفكرية وتطوير الحياة[1]. كما تتمثل أهمية الإسلام في تأييده الإبداع وذمّه للتقليد[2]. بل إن الإسلام قادر على استيعاب وإصلاح سائر الحضارات والثقافات[3]. فقد أدى إلى نشوء حضارة[4]، ويُعدّ «أداة منهاجية للوصول إلى الحضارة»[5].

الإسلام دعوة للتطور، إذ «التطوير أو التطور: مطلب إسلامي وحضاري وشعبي وحياتي»[6]. والإسلام يحترم حقوق الإنسان، بل ويجعل ذلك الاحترام ضرورة دينية لا قوام للدين إلاّ بها، وضرورة حياتية واجتماعية وسياسية وثقافية ونفسية لا ارتقاء للبشر إلا بإقامتها، ولا حضارة ولا ريادة للإنسانية إلا بسيادتها[7]. لذلك، فـ«التنوير الحقيقي يجب أن يكون بالإسلام وتعاليمه»[8]، فهو القوة الحقيقية التي يحتاجها الناس في كل عصر[9]، ونهوض الأمة من كبوتها، واستردادها لعافيتها، لن يكون إلا باستدعائها لفكرها الإسلامي ولمنهجها الإيماني[10]. وسبب تخلفها إنما يرجع إلى نسيانها لرسالتها، وفقدانها لهويتها، وتخليها عن مشروعها الحضاري[11]. لذا، فنموذج التنمية الصالح للعالم العربي والإسلامي، لا بدّ أن يشتق من الإسلام وثقافته[12].

---

(1) المرجع السابق، ص185 ـ 186.
(2) قربال، نور الدين. **إشكالية الديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر**. مرجع سابق، ص21.
(3) العلواني، طه جابر. **إصلاح الفكر الإسلامي**. ص97.
(4) عون، فيصل. «الإسلام والغرب»، ندوة العدد، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**. عدد 53 (خريف 1995م) السنة الرابعة عشرة، ص211.
(5) الزميع، علي. المرجع السابق، ص212.
(6) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (1)**. مرجع سابق، ص26.
(7) المرجع السابق، ص41 ـ 42.
(8) المرجع السابق، ص92.
(9) المرجع السابق، ص223.
(10) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (2)**. مرجع سابق، ص39.
(11) المرجع السابق، ص74.
(12) يوسف، يوسف إبراهيم. **إنفاق العفو في الإسلام**. مرجع سابق، ص31.
حنفي، حسن. **حوار المشرق والمغرب**. لمجموعة من المفكرين العرب، ص79.

توجد إشارات مهمة إلى ضرورة الرؤية المعاصرة للإسلام والقيام بتجديده. لكن هذا التجديد مرتبط بإصلاح عالم الأفكار، وإعادة تشكيل العقل المسلم المعاصر، وتجديد مناهج التفكير وتنقية الموارد الثقافية(1). والتطبيق المعاصر للإسلام هو الأساس الذي تنطلق منه الأمة لتتبوأ مكانتها في صدارة الأمم(2)، فقد أوجد الإسلام عقلاً متفاعلاً مع الثقافة والحضارة(3). والأخذ بروح الإسلام ضرورة لتقدم المجتمعات العربية والإسلامية، فهذه الروح تحث على التقدم والأخذ بالأسلوب العلمي(4).

وتتمتع العقيدة الإسلامية بصفات مميزة في البناء الحضاري، منها: القدرة العجيبة على توحيد الصفوف وشحذ الهمم ونكران الذات، والقدرة على بعث الأمل في النفوس وتقوية الاعتزاز بالذات(5)؛ كما أنها تمتاز بالتكامل، إذ جمعت

(1) الطريري، عبد الرحمٰن. **العقل العربي**. مرجع سابق، ص23 ـ 24.
(2) حجازي، سهير. «إشكالية التحيز»، موضوع: «التحيز في التصميم المعماري»، ج1، ص451.
(3) الطريري، عبد الرحمٰن. **العقل العربي**. مرجع سابق، ص90، ص136 ـ 138.
(4) الدريني، فتحي. ندوة: «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي»، موضوع: «مقومات وخصائص الثقافة الإسلامية الأساسية وأهدافها في الإسلام»، ج1، ص34، ص42 ـ 43.
الإمام، أحمد علي. «بشائر مستقبل العالم الإسلامي في وجه التحديات الحضارية المعاصرة»، ص172.
غندور، صبحي. «فكر الحركة الإسلامية: تساؤلات حول العلاقة الخاصة بين العروبة والإسلام»، ص327 ـ 329.
عبد الله، رمضان. «الحركة الإسلامية ومهام المرحلة الراهنة»، ص336.
الفرحان، إسحاق. «نحو استراتيجية عربية إسلامية مشتركة لمنطقة الشرق الأوسط»، ص364.
العيادي، تيسير. «الحركة الإسلامية في حلبة الصراع العقائدي والحضاري: دروس وعبر من أزمة الخليج والتحولات الدولية الراهنة»، ص369.
النجار، عبد المجيد. «النهضة الإسلامية: العوائق والعوامل»، ص433.
حسن، صلاح. «مركزية القضية الفلسطينية في صراع الحضارات: النظام الدولي الجديد، مقدمة لإقامة إسرائيل الكبرى»، ص391، ص414.
الكنز، علي. ندوة: «حرب الخليج ومستقبل العرب»، موضوع: «آثار الحرب على المجتمعات العربية»، فرضيات البحث، ص147.
إسماعيل، أحمد علي. «عالمنا الإسلامي: القوى البشرية»، **مجلة منبر الحوار**. العددان 23، 24، ص126.
(5) ابن عزيز، محمد الصالح. «موقع العالم الإسلامي»، **مجلة الوعي الإسلامي**. عدد 325، ص114.

obeikandi.com

المقومات الأساسية للحضارة الإنسانية الشاملة[1]. الإسلام هو خيار المستقبل، والعالم يمر الآن في دورة حضارية ستصل بالحضارة إلى الإسلام[2]. فالإسلام هو الذي جعل الأمة تتجاوز الصدمة الحضارية التي تعرضت لها نتيجة اصطدامها بالغرب، بل إنه أوصل الحضارة الإنسانية إلى درجة الرشد والنضج، ومن حينها أخذت الحضارة الإنسانية دورة حضارية جديدة ومتطورة. وكل النهضات والحركات الإصلاحية وثورات الشعوب في البلاد الإسلامية، كان الإسلام هو المحرك لها[3].

بل لا ضمان للتقدم والسعادة لجميع المواطنين، سواء أكانوا مسلمين أم غير ذلك إلا بالإسلام[4]. كما أن الإسلام حماية للعرب والمسلمين من الأخطار الخارجية ومن المتربصين بهم[5]. وأنتج الإسلام الحضارة الإسلامية التي أسهمت في «عمارة الأرض، وترقية الحياة على ظهرها، خُلقياً، وعلمياً، وأدبياً، وفنياً، واجتماعياً، وفق منهج الله وشريعته [. . .] فالإسلام حين يدخل المجتمعات البدائية، يُنشئ الحضارة المناسبة لهذا المجتمع. وحين يدخل المجتمعات المتقدمة، صناعياً أو زراعياً أو غير ذلك، فإنه يستخدم كل ما لديها من معطيات، ويقيم حضارة هذه المجتمعات مستفيداً مما لديها [. . .]. إن هذه الحضارة التي دعا إليها الإسلام، تتميز بأنها منفتحة الحدود الفكرية، والنفسية، والمادية. والنصوص الإسلامية التي تعلن هذه الحقائق كثيرة [. . .]. وسيراً في ضوء هذا المنهج الإسلامي، وجدنا العصور الذهبية للمسلمين تفتح صدورها لامتصاص

---

(1) الدريني، محمد فتحي. «ميلاد حضارة»، **مجلة رسالة الجهاد**. عدد 103، ص28.

(2) الميلاد، زكي. «نحو تقويم حضاري لعالمنا المعاصر»، **مجلة الكلمة**. عدد 6 (شتاء 1995م) السنة الثانية، ص22.

الكتاني، محمد. ندوة: «الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية: الأخذ والعطاء»، موضوع: «جوانب الثقافة الغربية في الفكر الإسلامي الحديث»، ص76.

(3) الميلاد، زكي. «مقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر»، **مجلة الكلمة**. عدد 7، ص18 ـ 20.

(4) الهلالي، إبراهيم. **نحو بناء مجتمع متقدم**. مرجع سابق، ص326 ـ 327.

(5) السايح، أحمد عبد الرحيم. **في الغزو الفكري**. مرجع سابق، ص80.

السايح، أحمد عبد الرحيم. «الإسلام والحضارة»، **مجلة الإنسان**. العدد الثالث عشر (مارس/ آذار 1995م) السنة الثالثة، ص73.

المعرفة الإنسانية المادية»[1]. وتجدر الإشارة إلى أن الحضارة الغربية المادية تحتضر، وعلاجها وعلاج العالم أجمع إنما يكون بالإسلام[2].

لذلك، تبرز الدعوة إلى العودة للإسلام؛ إذ أن هذه العودة «تحقق بذاتها الثقة المنشودة بالنفس، وهي الخطوة الأولى والضرورية على طريق الانطلاق ونحو فهم المشاكل وتصحيح المناهج المعترضة لطريق النهضة؛ لأن أخطر حالة تصيب الإنسان، هي حالة فقدان الثقة بالذات»[3]. لا خطر على الأمة مع تمسكها بدينها الإسلامي في صراعها مع الحضارات الأخرى؛ لكن الخطر يكون في فقدانها إياه، إذ عند ذاك تصبح تابعة للملل والحضارات الأخرى[4]. فالمستقبل القادم هو للحضارة الإسلامية[5].

الإسلام نموذج توحيدي قادر على القطع تدريجياً مع النموذج السائد، والوحيد الذي يستطيع فتح آفاق التغيير الكامل[6]. بل إنه «متى فُقد الإسلام، فُقدت معه عناصر وجود الأمة وأسباب بقائها كأمة مستقلة متمايزة»[7]. فقد كان للإسلام «دائماً، إيجابية المبادرة، باتقاء عثرات الأمة طوال تاريخها، ومواجهة كافة تحديات الغزو والعلمنة والتغريب»[8]. فلم تكن النهضة الحضارية التي عاشها العرب والمسلمون إلا «نتاجاً حيّاً لتوجيهات النصوص الدينية قرآناً وسُنَّة، والتي تدعو إلى تبصّر حقيقة الوجود الإنساني، عن طريق النظر الحسي، وإعطاء الحواس مسؤوليتها الكبرى عن كل خطوة يخطوها الإنسان في مجال المعرفة والتجريب»[9].

وما ينقص النهضة العربية الحديثة هو العمل بموجب العقيدة

---

(1) السايح، أحمد عبد الرحيم. **في الغزو الفكري**. مرجع سابق، ص118 ـ 121.
(2) المرجع السابق، ص96 ـ 100.
(3) السباعي، كاظم. «الاستقلال المنهجي الحضاري»، **مجلة الكلمة**. عدد 8، ص23.
(4) الإمام، أحمد علي. **المستقبل للإسلام**. مرجع سابق، ص47.
(5) المرجع السابق، ص38، ص56 ـ 62.
(6) إسماعيل، فادي. **الخطاب العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص12.
(7) المرجع السابق، ص105.
(8) الخطيب، سليمان. **فلسفة الحضارة**. مرجع سابق، ص10.
(9) المرجع السابق، ص230.

الإسلامية[1]، وقد فتح التخلي عن التمسك بالإسلام وقيمه الروحية الباب واسعاً أمام الاستعمار (القديم منه والجديد) ليحكم سيطرته على العالم العربي والإسلامي في كافة الميادين[2]. بل إن «عدم الانطلاق من المذهبية الإسلامية في محاولة البناء الحضاري الجديد، قد وجّه الحياة في العالم الإسلامي في القرن الأخير، وجهة لا دينية ولا حضارية، مما أفقده الوحدة وعمّق فيه التجزئة القاتلة، وانتهى به إلى محاولة تقليد نموذج غربي في التنمية، نتجت منها «لا تنمية» هائلة في العقل والروح والأخلاق»[3]. إن «الإسلام... والإسلام وحده ـ كدين وحضارة ـ هو الشرط الوحيد لبقائنا واستمرارنا، كأمة وكثقافة في وجه التحدي الغربي الحديث، السياسي والثقافي منه على السواء»[4].

تتمثل شمولية التقدم في الإسلام في كونه تقدم «روحي ومادي، أخلاقي وعمراني، دنيوي وأخروي، علمي وإيماني، ولا يجد أي تعارض بين هذه المتقابلات، بل هو يجمع بينها في توازن واتساق. إنه تقدم في الأهداف والغايات، وتقدم في الوسائل والأساليب معاً. فالإسلام أحرص ما يكون على نظافة الوسيلة، حرصه على شرف الغاية، ولا يقبل بحال الوصول إلى الغايات النبيلة بوسائل خسيسة أو قذرة. [...]، وفي ضوء هذا المفهوم المتكامل للتقدم، كانت الحضارة الإسلامية الشامخة، التي جمعت بين الروائع المادية التي تمثلت في مبدعات العمارة والفنون وغيرها، وبين المعاني الإيمانية والأخلاقية التي كانت هي الروافع الحقيقية وراء هذا الإبداع، وكانت هي السند الروحي والمعنوي لهذه الحضارة التي لا تخطئ العين في عامة مظاهرها ومنجزاتها: إنها حضارة ربانية، محورها الإيمان، وركيزتها الأخلاق»[5].

الإسلام نهضة لكل المجتمعات، وقد كانت هزيمة وانكسار وضعف الأمة

---

(1) المرجع السابق، ص246.

(2) المرجع السابق، ص223.

(3) عبد الحميد، محسن. **تجديد الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص162.

(4) ابن يوسف، أحمد. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «فلسطين ساحة المواجهة الحضارية»، ص295 ـ 296.

(5) القرضاوي، يوسف. «ما موقف الإسلام من التقدم»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5912 (السبت 4/ 2/ 1995م) ص16.

العربية والإسلامية نتيجة لابتعادها عنه، وعلى قدر البعد تكون النكسة[1]. والحضارة العربية، في رأي العديد من المفكرين مرتبطة بالإسلام، ذلك أن «الحضارة العربية» في اصطلاحنا المعاصر، هي أساساً، الحضارة التي بناها العرب باسم الإسلام ومن خلاله وبواسطته»[2]. والإسلام ليس ضد الحداثة والتحديث والتجديد وإنما ضد الأمور المحدثة في الدين بقصد التعبد[3]. لذا، يجب الانتباه إلى أن الحرب الحضارية التي يشنها الغرب على الإسلام إنما تهدف إلى إجهاض النهضة العربية والإسلامية وعرقلة نموها وتقدمها[4].

ينظر العديد من المفكرين، إذن، للإسلام من جانبين؛ أحدهما: أهمية التمسك به حضارياً (الجانب الإيجابي)، والثاني: خطر الابتعاد عنه على النهوض والتقدم (الجانب السلبي)[5]. إن «إبعاد الدين عن مجالات الحياة العامة، سواء في ميادين التشريع والتقنين، أو في مجالات توجيه المجتمع السياسي والثقافي، يُعتبر من الأخطار التي تهدد مستقبل مجتمعنا [. . .]. لا مناص لنا إذا ما أردنا أن نصون مجتمعنا من الذوبان في مجتمعات الغربيين، أن نرجع لحقيقتنا الإسلامية. فبدون الرجوع إلى حقائق الإسلام، لا يمكننا أن نصون مجتمعنا أبدا»[6]. و«الشريعة الإسلامية» مؤهلة لحلّ أزمة الإنسان الحضارية، بما تمتلكه من خصائص ومميزات حضارية، جعلتها ملاذ الإنسانية في حلّ أزمتها الحضارية.

ومن هذه الخصائص: ربانية المصدر، وشمولية التوجه، وفطرية التعاليم، وعالمية التوجه، وعدالة الأحكام، ووسطية الاتجاه، وثبات القيم، وتجدد

---

(1) القرضاوي، يوسف. **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**. القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1991م) ص47.

(2) الجابري، محمد عابد. مقال: «المثقفون العرب ومسألة المرجعية»، **جريدة القدس العربي**. عدد 2078 (السبت/الأحد 13 ـ 14/ 1/ 1996م) ص14، عمود 3.

(3) الجابري، محمد عابد. **التراث والحداثة**. مرجع سابق، ص53.

(4) الجابري، محمد عابد. «الثقافة العربية اليوم ومسألة الاستقلال الثقافي»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 174، ص8 ـ 9.

(5) علي، علي آيت. «الفقه الحضاري في ظل الإسلام»، **مجلة دعوة الحق**. عدد 287، ص107.

(6) القادري، أبو بكر. «المجتمع الإسلامي في مواجهة التحديات الحضارية الحديثة»، **مجلة الأكاديمية**. عدد 7 (دجنبر 1990م) ص130 ـ 131.

obeikandl.com

العطاء[1]. فكان انقطاع الأمة عن الشريعة الإسلامية السبب المباشر للكوارث التي حلّت بها، وأنه لم تُكتب لها صفحاتها البيضاء الناصعة إلا حينما عضّت على الشريعة بالنواجذ. فانحدار الأمة الحضاري إنما نتج عن القطيعة بين النموذج المحمدي وتطبيقه في الواقع[2]. لكن يجدر الانتباه إلى أمر مهم، هو أن «إلغاء الشريعة الإسلامية، لم يأت نتيجة قرار سياسي، بل نتيجة لتراجع حضاري طويل، أدى إلى أن تنشأ في الأمة القابلية للاستعمار، الذي أجهز على آخر مظاهر الحياة الإسلامية. وهو نتيجة هزيمتنا أمام الحضارة الغربية، وانتصار قيمها ونماذجها في نفوس طائفة من أبناء أمتنا، الذين أصبحوا يقومون بدور الوكالة الحضارية عن الغرب، بعد الاستقلالات السياسية»[3].

هنالك، في المقابل، قلة من المفكرين لا يرون تلك الأهمية الحضارية للإسلام، إذ يقول أحدهم: «لا أعتقد أن الأديان تبني حضارات، فأنا أعترض على عبارة: الإسلام عقيدة وحضارة، الأديان بشكل عام عقيدة وشريعة؛ لأن الدين لا يبني حضارة، أنا أعتقد أن الإنسان هو الذي يبني حضارته [...] حتى لو كان وثنياً [...] المنجزات أعتقد أنه نادراً ما تتداخل فيها الديانة. الإسلام كدين نقول عقيدة وشريعة فقط، ولكن الحضارة هي من صنع الإنسان في المقام الأول»[4].

الخلاصة: تجعل غالبية المفكرين العرب للإسلام مكانة لا توازيها مكانة في صنع الحضارة عموماً؛ وفي خلق الحضارة العربية والإسلامية والوحدة العربية،

---

(1) خبيزة، محمد يعقوبي. ندوة: «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي»، موضوع: «حل الشريعة الإسلامية لأزمة الإنسان الحضارية»، ج2، ص45.
خبيزة، محمد يعقوبي. «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي»، موضوع: «حل الشريعة الإسلامية لأزمة الإنسان الحضارية»، **مجلة دعوة الحق**. عدد 299، ص96.
وبالنسبة لخصائص الشريعة، يمكن الاطلاع عليها مفصلة من ص61 ـ 72 من الندوة.

(2) القديدي، أحمد. **الإسلام وصراع الحضارات**. مرجع سابق، ص126 ـ 128.
الكتاني، يوسف. «الاجتهاد مظهر الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي»، **مجلة دعوة الحق**. عدد 281 (أكتوبر/ نوفنبر/ دجنبر 1990م) ص65.
الكتاني، إدريس. **الخريطة القرآنية للمجتمعات البشرية**. مرجع سابق، ص103.

(3) يتيم، محمد. **العمل الإسلامي والاختيار الحضاري**. مرجع سابق، ص53.

(4) البغدادي، أحمد. «الإسلام والغرب»، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**. مداخلة، عدد 53 (خريف 1995م) السنة الرابعة عشرة، ص208 ـ 209.

وفي حماية العرب من المخاطر الخارجية، وفي كونه خيارهم المستقبلي لشموله كل جوانب الحياة خصوصاً. كما يرون أن له دوراً وحدوياً وأثراً في تطور الفكر؛ ويعتبرون أن الشريعة والقيم المنبثقة عن الدين الإسلامي ضرورة للحياة الحضارية السليمة في العالم العربي، بل وفي العالم أجمع. وغياب الإسلام وشريعته ـ في المقابل ـ إنما هو تعطيل للنهضة الحضارية.

سادساً: ارتباط المشروع الحضاري العربي بالإسلام

يحذّر بعض المفكرين من خطورة التنازع بين العروبة والإسلام، نظراً لأنه تنازع ضار ومفتعل ومدمر، ويخدم المخططات المعادية للأمة والثقافة العربية والإسلامية، ويزيد من ضعف الأمة وتبعيتها(1). لذا، يرى العديد من المفكرين العرب أهمية وجود مشروع حضاري إسلامي، نظراً لأن هذا المشروع «يمتلك المرتكزات السليمة لحلّ إشكالات الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي والحضاري والتنمية، وترشيد السياسة الصناعية والعلمية والتقنية؛ إلا أنه بحاجة إلى أن يفعل الكثير حين يأتي إلى التطبيق العملي وترجمة مشروعه الواعد إلى برنامج تتبناه الدولة والأمة، وهو بهذا بحاجة إلى تعميق معرفته بالإشكاليات التي تواجه البلاد الإسلامية في الظروف الراهنة، بما فيها الإشكالات المتعلقة بالتنمية والعلوم والتكنولوجيا»(2). والمشروع التوحيدي في الإسلام هو المشروع المحرّك للعرب والمسلمين، والمعيار لتقدمهم وتأخرهم، وفي ظله يتم التطور في مختلف الاتجاهات، الإيمانية والروحية والخلقية والعلمية والتقنية والإنتاجية والعسكرية(3).

إن «المشروع الحضاري الذي نتطلع إليه، هو الذي ينطلق في أسسه وركائزه، في أصوله وفروعه، في ثوابته ومتغيراته، في مقاصده وأهدافه، في نظمه وقوانينه من الإسلام. . . فالإسلام كله نهضة وإحياء وتجديد؛ لأنه دعوة للعمل ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ [التوبة: 105]، والسعي ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: 39]،

---

(1) عرسان، علي عقلة. «ميثاق للمثقفين»، **مجلة الآداب**. عدد 1، السنة 41 (يناير 1993م) ص42.

(2) شفيق، منير. **قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري**. مرجع سابق، ص117.

(3) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. مرجع سابق، ص40 ـ 42.

والعلم ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: 1]، والكدح ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6]. والذي يفهم الإسلام فهماً سليماً، يكتشف قدرته المذهلة على الإصلاح والتغيير والإحياء والتجديد، في أحكامه وآدابه وعقائده وتعاليمه وقيمه ومبادئه. وهو مشروع حضارة لكل الإنسانية. [...] وما ينبغي أن نتبصّره ونتخذه عبرة، أن أي مشروع حضاري يستبعد الإسلام، فإن مصيره محكوم عليه بالفشل [...]؛ لأن الإسلام هو تاريخ هذه الأمة وتراثها وهويتها وثقافتها وروحها وعقيدتها. وأي مشروع يتعارض مع تراث أية أمة أو هويتها أو ثقافتها أو روحها، فإن هذا المشروع لن تتوفر فيه عناصر ومقومات النجاح؛ لأنه سوف يكون غريباً في المكان والزمان»[1].

يمكن تعريف المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر بأنه «مشروع بناء حضارة جديدة يستعيد فيها الإنسان حريته وكرامته وسعادته وإنسانيته. [...] وهذا ما اتصفت به الحضارة الإسلامية وتفوقت به على كل الحضارات الإنسانية، حيث ارتقت بقيمة الإنسان وأعلت من إنسانيته [...]. وهكذا عُرفت الحضارة الإسلامية بحضارة المُثل والقيم والأخلاق والآداب»[2]. وصياغة هذا المشروع الحضاري بحاجة لعدة متطلبات، منها؛ «أولاً: تحديد الموقف المعرفي من التراث. وهنا نحتاج إلى منهجية علمية جديدة قوامها النقد والفحص في قراءة تراثنا، لمعرفة الجوانب الحية من الجوانب الميتة، والجوانب المعقولة من الجوانب غير المعقولة [...]. ثانياً: تحديد الموقف المعرفي من الغرب، وهنا أيضاً نحتاج إلى منهجية علمية في قراءة الغرب ودراسته حضارياً [...]. ثالثاً: إبراز الدور العلمي والحضاري في تاريخ الإسلام، ودور الإسلام في بناء الحضارة [...]. رابعاً: التركيز على قيمة العقل والعلم في الإسلام، وكيف أن الإسلام أعلى من قيمة العقل والعلم أكثر من أي حضارة أخرى [...]. خامساً: التركيز على مشكلة التخلف، والتخلف العلمي والحضاري [...]، وإعطاء هذه المشكلة قمة الأولويات [...]. سادساً: الاهتمام بإصلاح وتطوير نظم ومناهج وأساليب

(1) الميلاد، زكي. «مقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر». **مجلة الكلمة**. عدد 7، ص23 ـ 24.

(2) المرجع السابق، ص26 ـ 28.

وخطط وبرامج التربية والتعليم [. . .]. سابعاً: التقدم باتجاه إسلامية المعرفة»[1]. وهذا المشروع الحضاري رهن بالأخذ بالقيم والمبادئ الإسلامية[2].

يتوقف على المشروع الإسلامي مصير نهضة الأمة وتقدمها، في محاولتها ردم فجوة التخلف التي تعاني منها، واستئنافها لدورة حضارية جديدة[3]. ويُعتبر الحلّ الإسلامي من أبرز الحلول الحضارية الشاملة في تاريخ البشرية، ذلك أنه «لم يترك كبيرة ولا صغيرة. .إلا أحصاها. وهذا ما قصدناه بالحلّ الشمولي الذي تحتاج إليه المعضلة العربية اليوم [. . .]. وهو لهذا الغنى والتنوع والشمول، يحمل لكل عصر استجابة حضارية معينة، مستمدة من ثوابته»[4]. بل هناك من يذهب إلى حدّ اعتبار المشروع الحضاري الإسلامي ضرورة للعالم أجمع لا للعرب والمسلمين وحدهم؛ إذ به تنهض الأمم وترتقي وتبدع[5].

لذا، تبرز الدعوة إلى إيجاد منهج إسلامي أصولي شمولي واضح؛ لأن انعدامه أدى إلى هذا السقوط الحضاري الذي يعيشه العرب والمسلمون[6]، كما أنه من الضروري التخطيط لأسلمة العلوم الإنسانية، كسبيل سيضع الأمة بسرعة على خط الإبداع الثقافي والحضاري في المستقبل القريب[7]. فمن الخطورة غياب المشروع الحضاري الإسلامي، ذلك أنه «لو حاولنا استخدام الرؤية التحليلية للذات العربية الإسلامية، في أزمتها الحاضرة، نجد أن الإخفاق الذي منيت به المجتمعات الإسلامية، يرجع إلى غياب مشروع حضاري إسلامي، يستلهم الفهم الإسلامي لدور الإنسان واستخلافه من أجل التمدن، بالإضافة إلى عدم استيعاب العقل العربي الحديث لخطورة الهيمنة الاستعمارية في المجال الثقافي والفكري

---

(1) **مجلة الكلمة**. عدد 7، ص33 ـ 34.
(2) التويجري، عبد العزيز بن عثمان. «خدمة الحضارة الإسلامية والنهوض بها»، **مجلة الإسلام اليوم**. عدد 13، السنة الثالثة (1995م) ص13 ـ 14.
(3) العلواني، طه جابر. **إصلاح الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص22 ـ 23.
(4) الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة**. مرجع سابق، ص54.
(5) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (1)**. مرجع سابق، ص44.
(6) عبد الحميد، محسن. **تجديد الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص209.
وبالنسبة للخطوط العريضة للمنهج الإسلامي الشمولي، انظر: ص235 ـ 237.
(7) المرجع السابق، ص190.

والعقائدي، حيث يترك ذلك كله آثاراً واضحة في الممارسة الحضارية [. . .]، ومحصلة هذه التبعية الحضارية، الارتهان التاريخي لتطور الغرب وسياساته ونظمه ومذاهبه، وإمعان في ترسيخ التخلف الحضاري وتنميته، عبر تثبيت استلاب الإنسان العربي المسلم لصالح الهيمنة الاستعمارية»[1].

من هنا، ساند العديد من المفكرين فكرة وجود حركة وصحوة إسلامية تعمل على تحقيق المشروع الحضاري وإقامة التقدم، على اعتبار أن «الصحوة الإسلامية، بمظاهرها المختلفة وتياراتها الظاهرة والخفية، ليست قضية عارضة، كما أنها ليست رد فعل جاء نتيجة لظروف طارئة وملابسات مبهمة، وإنما هي ثمرة لوعي تاريخي، وعودة إلى الأصل وتصحيح الانتماء، واستلهام للشخصية الحضارية التاريخية، التي رسمت الأبعاد الصحيحة لحركة الأمم الشاملة في مختلف المستويات [. . .]. إن الصحوة لم تأت من فراغ، وإنها تحاول أن تترسم معالم الشخصية الحضارية لهذه الأمة»[2]. والصحوة الإسلامية التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي على شكل حركات؛ استطاعت أن تقوم بعملية نقد وتقويم للذات الحضارية، وذلك بمحاولتها تحديد عوامل التأخر والانحطاط، ورسم طرق العلاج والعبور للمستقبل وبناء الكيان الحضاري وصنع التقدم والحضارة المتوازنة[3].

فالصحوة الإسلامية ليست مجرد ظاهرة فكرية في الأمة؛ بل أيضاً مشروع حضاري متكامل ومطروح لقيادة الأمة، ذو أرضية ثابتة وعميقة داخل المجتمع[4]. وهذه الصحوة والظاهرة الإحيائية «تشكل خطراً على المصالح الغربية في العالم الإسلامي الذي تشكل المنطقة العربية قلبه. كما أنها تشكل تحدياً للنموذج الحضاري الغربي»[5]. فهي «ظاهرة صحية، إنها عودة أصيلة إلى جذور الأمة وأصولها الإسلامية، إنها الشعور الحقيقي بالانتماء والهوية الحضارية، إنها المحاولة

---

(1) الخطيب، سليمان. **فلسفة الحضارة**. ص7، والكلام نفسه حرفياً مكرر في ص234 ـ 235.

(2) فتاح، حميد. **الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة تحدياته**. مرجع سابق، ص228 ـ 229.

(3) المرجع السابق، ص235.

(4) المرجع السابق، ص286.

(5) إبراهيم، حسنين توفيق. والحديني، أماني مسعود. «الإسلام والمسلمون في الغرب وفي الدراسات الغربية»، موضوع: «ظاهرة الإحياء الإسلامي في الدراسات الغربية: رؤية تحليلية نقدية، ملف العدد، **مجلة منبر الحوار**. عدد 25 (صيف 1992م) ص33.

الصحيحة لإعادة الأمة إلى فعلها الرسالي والحضاري»[1].

يُعرّف البعض الحركة الإسلامية ويُبيّن أهميتها بالقول: إنها ««التعبيرية الفكرية التي تنطلق من العقيدة الإسلامية، وتتمحور حول أهداف ومقاصد وشرائع الإسلام، وتتحرك نحو التغيير الشامل والعميق للواقع المعاش في مختلف أبعاده، الاقتصادية والسياسية والقيمية والفنية على مقتضى الموقف الإسلامي». فهي حركة أصولية إحيائية وتجديدية للفكر الإسلامي، ولنمط التدين الأصيل. وهي تغييرية تستهدف تغيير الواقع الاجتماعي المخالف للدين الإسلامي والفطرة. [...] الحركة الإسلامية هي المرشحة لتمثل داخل مجتمعاتنا ـ ولو نظرياً ـ القوى الحقيقية للتغيير والدفع، لا لصفتها الإسلامية فحسب، ولكن أيضاً لأنها تقدم نفسها نقيضاً عينياً كاملاً لهذا الواقع وتعمل على تغييره من حيث مبادئه وأهدافه وفلسفته.

بينما تقف القوى الأخرى موقف المحافظة؛ لأن هذا الواقع وليد منظومتها من جهة، ولأنها معادية للدين والتدين عامة وللإسلام خاصة»[2]. فهذه الصحوة والحركة الإسلامية ما هي إلا محاولة لنفض غبار الانحطاط الحضاري عن الأمة[3]، كما أنها تعبير «عن وعي الشعوب الإسلامية بلحظتها الحضارية، وضرورة الانعتاق والتحرر»[4]. ويوجد اعتقاد بأن التيار الإسلامي هو المعبّر الحقيقي والوحيد عن ضمير الأمة[5]. ولا يزال هذا التيار رغم كل المعوقات والعقبات

---

(1) فهدي، عبد الفتاح. ندوة: «مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر»، موضوع: حول جدليات التغيير الحضاري» (في أهمية دراسة حالة المغرب نموذجاً) ص189.

(2) طاهر، جمال. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «الحركة الإسلامية: إشكالية المصطلح ومعالم المشروع السياسي»، ص120 ـ 121.

(3) عدلوني، محمد أكرم. «توجهات مستقبلية للحركة الإسلامية المعاصرة على مشارف القرن الحادي والعشرين». المرجع السابق، ص70.
عليمات، حمود. «الفعل الإسلامي الدولي بين قدرات الأمة وإرادة الحركة»، ص193.
الحامدي، محمد الهاشمي. «أولويات مهمة في دفتر الحركات الإسلامية»، ص237.
العيادي، تيسير. «الحركة الإسلامية في حلبة الصراع العقائدي والحضاري»، ص368، ص376.

(4) بها، عبد الله. **سبيل الإصلاح**. مرجع سابق، ص2.

(5) القرضاوي، يوسف. **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**. مرجع سابق، ص154.

obeikandi.com

والصراعات، أعرض وأوسع وأعمق تيارات النهضة والتغيير في الواقع الراهن[1].

هناك كلام عن أهمية حركات الإسلام السياسي، وضرورة تواصلها مع غيرها؛ على اعتبار أن «الخطوة الأولى لإنهاء حالة التشرذم الطائفي والسياسي وإنهاء حالة التجزئة والتخلف، تبلغ غايتها في الإسلام السياسي، وفي التواصل التاريخي بين الدائرة الإسلامية وحليفتها الأساسية والموضوعية، الدائرة اليابانية ـ الصينية وما حولها»[2]. فالخيار الحضاري الإسلامي، إذن، هو البديل الوحيد القادر على منازلة ومنافسة الخيار الحضاري الغربي على النطاق العالمي، بشهادة التاريخ[3].

الخلاصة: يرى المفكرون العرب ضرورة وجود مشروع حضاري عربي وإسلامي من أجل بناء الحضارة العربية والإسلامية مجدداً. وهم يعملون على ربط ذلك المشروع الحضاري بالإسلام، ويعطون أهمية للصحوة والحركات والتيارات الإسلامية في صياغته.

سابعاً: القرآن والسُّنَّة والدور الحضاري

بالنسبة للقرآن: يُفرده العديد من المفكرين بالكلام، إذ هو عندهم كتاب يصنع النفوس، ويصنع الأمم، ويبني الحضارة، ذلك أنه جاء بالجديد الذي تحوّل عبره الكلام والتوجيه من تجريدات ذهنية نظرية جدلية إلى منطق ملاحظة واستقراء، ومنطق وعي الكون والتعرف على سننه ومشروعية التعامل معه، بهدف عمارة الأرض وبناء الحضارة[4]. والتصور الحضاري للقرآن يفتح أبصار الأمة على الكون ويمنحها الرؤية المتميزة التي تمكنها من الشهود الحضاري على مختلف الأصعدة[5].

---

(1) عمارة، محمد. «حوار مع المفكر الإسلامي»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5226 (السبت 20/ 3/ 1993م) ص21.

(2) الربيعو، تركي علي. «الإسلام الحضاري والدعوة إلى تغيير النظام العالمي» (قراءة للفكرة عند مالك بن نبي وأنور عبد المالك)، **مجلة منبر الحوار**. عدد 28، ص106.

(3) عمارة، محمد. «العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية»، موضوع: «العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية الراهنة»، ملف العدد، **مجلة مستقبل العالم الإسلامي**. عدد 6 (ربيع 1992م) ص15 ـ 16.

(4) الغزالي، محمد. **كيف نتعامل مع القرآن**. مرجع سابق، ص30 ـ 31.

(5) المرجع السابق، ص43.

و«الرؤية القرآنية» حضارة متكاملة تتناول كل الجوانب لا جانباً واحداً منها، فالقرآن، بلا منازع كتاب حضارة كاملة[1]. لذلك، هناك دعوة إلى القيام بمدارسة للقرآن؛ وهذه المدارسة تعني «القراءة والفهم والتدبر والتبيّن لسنن الله في الأنفس والآفاق، ومقومات الشهود الحضاري [...]، وما إلى ذلك مما يحتاج إليه المسلمون لاستئناف دورهم المفقود»[2]. ومن المفيد في هذا المجال التقريب بين هذه المدارسة القرآنية وبين ما وصلت إليه الإنسانية وحضارتها، لكن هذا الأمر يحتاج إلى اعتماد مجموعة من الأمور، منها: «أن ننخلع قليلاً عن بعض مواريثنا القديمة التي ليست من ثوابت الدين وقيمه الأصلية، والإفادة من الحضارة الحديثة وما وصلت إليه من ناحية وسائل فهم الكون، ومن ناحية مردود النظر في النفس الإنسانية، واعتماد كثير منها بعد ضبطها بمبادئ الإسلام ومقاصده الكلية»[3].

القرآن والتقدم العلمي والتكنولوجي يسيران على خط واحد، ولا خلاف بينهما، فكل من يزدد فهماً لآيات القرآن، يزدد إلماماً بالعلم والتكنولوجيا[4]. كما أن النظر في ملكوت السماوات والأرض على النحو الذي أمر به القرآن سيؤدي بالأمة إلى تحقيق الرقي المادي، والروحي، والحضاري[5]. وإذا استطاعت الأمة العربية والإسلامية أن تفهم الإسلام حق الفهم، وتعيه حق الوعي، وتقرأه ككتاب حركة تاريخية ومجتمعية، وليس مجرد كتاب تعاليم، فسترى فيه الزاد الكثير لتحقيق ثورتها الثقافية واستقلالها الفكري، فهو يحتوي في ثناياه نموذجاً حضارياً مغايراً تتجاوز به الأمة العربية واقعها الراهن وتدخل في دورة حضارية جديدة[6]. وقد كان القرآن وراء التحول الحضاري الذي مرّت به الأمة العربية فيما مضى، من مجتمع عربي جاهلي

---

(1) المرجع السابق، ص71 ـ 72.
(2) المرجع السابق، ص28.
(3) المرجع السابق، ص45 ـ 46.
(4) المنجرة، المهدي. **الحرب الحضارية الأولى**. ص120.
(5) السايح، أحمد عبد الرحيم. **في الغزو الفكري**. ص118.
وتجدر الإشارة إلى أننا نجد نفس الحديث السابق ولنفس المفكر في: **مجلة الإنسان**. موضوع: «الإسلام والحضارة»، عدد 13، ص72.
(6) الهندي، صبحي عبد الوهاب. «أحمد بن بلة: مواقف واتجاهات في الفكر والسياسة والاجتماع»، **مجلة منبر الحوار**. عدد 28، ص7.

obeikandi.com

«إلى مجتمع متحضر، قاد الإنسانية في طريق الخير والأمن والسلام»[1]. وتوجد في القرآن آيات تنقد التخلف والمتخلفين، ذلك أن التقدم هو جوهر الوحي[2].

توجد مطالبة قوية بالعودة للقرآن كمصدر لمعارف الحياة وفقه المعرفة والحضارة[3]. فقد استُخدم الفقه في القرآن «لمعنى أوسع بكثير من المعنى الاصطلاحي الفقهي. إنه الفقه الحضاري بكل ما تشتمل عليه كلمة حضارة من أبعاد»[4]. والقرآن طلب من المسلم تحقيق الشهود الحضاري، وأوجب عليه التعرف على الآفاق الثقافية والحضارية[5]. كما تجدر الإشارة إلى أهمية «القصص القرآنية» والتي تهدي الأمة «إلى الطريق السليم، ولتحقيق الوقاية الحضارية، والثقافية، من علل التدين التي كانت سبباً في السقوط الحضاري للأمم السابقة»[6]. وهناك دعوة إلى الاهتمام بالإشارات العلمية الموجودة في القرآن، والبحث فيها، إذ في ذلك إسهام على استعادة مجدها الحضاري الغابر[7]. وإن كان هناك من لا يرى ضرورة لإجهاد النفس في إضفاء صفة الإعجاز العلمي على القرآن مع كل نظرية أو اكتشاف علمي؛ لأن ذلك ما هو إلا دليل على الواقع العربي والإسلامي العاجز والمتخلف[8].

بالنسبة للسُّنَّة: لا يتحدث المفكرون عن أهميتها بمعزل عن القرآن الكريم، إذ يعتبرون أن القيم الموجودة في الكتاب والسُّنَّة من عوامل الإمكان الحضاري

(1) ابن عمر عزيز. محمد الصالح. «أزمة الخطاب الإسلامي المعاصر»، **مجلة الوعي الإسلامي**. عدد 321، ص82.

(2) حنفي، حسن. ما الذي يمنع المثقف العربي من التفكير في المستقبل، وما الذي يمكن أن يدفع إليه»، **مجلة الفكر العربي المعاصر**. عدد 90، 91، ص47.

(3) الغزالي، محمد. **كيف نتعامل مع القرآن**. مرجع سابق، ص22.

(4) المرجع السابق، ص68.

(5) المرجع السابق، ص221.

(6) الطريري، عبد الرحمٰن. المقدمة: حسنه، عمر عبيد. **العقل العربي**. ص15.

(7) غنيم، كارم السيد. «منهجية بحث الآيات الكونية في القرآن الكريم»، **مجلة رسالة الجهاد**. عدد 103، ص128.

(8) الغزالي، محمد. **كيف نتعامل مع القرآن**. مرجع سابق، ص21 ـ 22.
العلواني، طه جابر. المقدمة: حسنه، عمر عبيد. **إصلاح الفكر الإسلامي**. ص48. =

للأمة[1]، بل وخميرة نهوضها[2]. إن إعمال الفكر في كتاب الله وسُنَّة رسوله وفقه الواقع سيساعد على بلورة رؤية حضارية، وعلى بدء دورة الفاعلية للأمة من جديد[3]. فالكتاب والسُّنَّة يوضحان «السبيل لانبعاث حضارة جديدة [. . .]، القرآن والسُّنَّة يقدّمان المقياس الحضاري الجديد لإفريقيا والعالم العربي»[4]، كما أن منهج الحلال والحرام الموجود والمستمد من القرآن والسُّنَّة يعتبر دستور نهضة؛ لأنه قائم على أساس تحقيق الخير للبشرية ودفع الضرر عنهم، لكونه يقوم على درء المفسدة وجلب المصلحة؛ فهو منهج إلٰهي إسلامي منشئ للإبداع والتقدم وموجّه له الوجهة الصحيحة[5]. وقد نجت الأمة من التبعية في الماضي لاتباعها الفقه الإسلامي الذي حفظ لها شخصيتها طيلة مئات السنين[6]. لذا، فللعلوم الشرعية دور مهم في نهضة الأمة، إذ لها القدرة على صناعة الرجال وصياغة الإنسان (مرتكز الفعل الحضاري) صياغة تمنحه القدرة على التخلص من قيوده، وتبنيه من جديد مزوداً بالرؤية الشمولية المتفاعلة مع الكون والحياة[7]. لذلك، من اللازم إصلاح المناهج العقلية وتنقية الموارد الثقافية في ضوء الكتاب والسُّنَّة من أجل تشكيل الأجنّة الحضارية القادرة على بناء الحضارة الإنسانية[8].

الخلاصة: يرى العديد من المفكرين العرب أن للقرآن والسُّنَّة دوراً حضارياً

---

(1) يوسف، يوسف إبراهيم، **إنفاق العفو في الإسلام**. مرجع سابق، ص17.
القديدي، أحمد. **الإسلام وصراع الحضارات**. مرجع سابق، ص9، ص18.
حسنه، عمر عبيد. ندوة: «مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر»، موضوع: «مناهج التغيير ووسائله في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، ص337، ص340، ص349.

(2) الطريري، عبد الرحمٰن، **العقل العربي**. مرجع سابق، ص23.
السايح، أحمد عبد الرحيم. **في الغزو الفكري**. مرجع سابق، ص25.
العمري، أكرم ضياء. **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**. مرجع سابق، ج1، ص7، ص34، ص37.

(3) العلواني، طه جابر. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي، الإطار الفكري للندوة»، ص27.

(4) الصلبي، محمد عليّ. «دور الجامعات العربية والإفريقية في التنمية الثقافية»، **مجلة كلية الدعوة الإسلامية**. العدد الثامن (1991م) ص24 ـ 25.

(5) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (2)**. مرجع سابق، ص221 ـ 226.

(6) جاد، الحسيني سليمان. **وثيقة مؤتمر السكان والتنمية** (رؤية شرعية) ص34.

(7) حوار مع: يسّف، محمد. **مجلة الهدى**. عدد 33 (شتنبر 1996م) ص39.

(8) العلواني، طه جابر. **إصلاح الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص5.

ايجابياً؛ ذلك أن دورهما مستمر لا ينتهي، ويتجدد باستمرار مع مرور الزمان وتجدد الحوادث، وأن القيم المبثوثة في ثناياهما دستور للنهضة لجميع البشر. لذا، لا غنى للعرب والمسلمين عن القرآن والسُّنَّة، ولا عن العلوم المنبثقة عنهما. وهم يُفردون الكلام عن الأهمية الحضارية للقرآن، ولا يُفردون مثل ذلك عن السُّنَّة، بل يُدمجون ذكرها معه. ولعلّ ذلك يعود لرؤيتهم أن السُّنَّة تابعة للقرآن ولا يمكنها الانفراد أو الاستقلال عنه.

ثامناً: من المظاهر والقيم الإسلامية

ورد في «القرآن والسُّنَّة» العديد من المظاهر والقيم الإسلامية التي تؤثر على الحضارة. وقد تحدث المفكرون العرب عن بعضها؛ مثل:

1 ـ المسجد:

الذي يُنظر له أنه من أهم القنوات والجسور الحضارية التي تنتقل عبرها الحضارة من الجيل السابق إلى اللاحق[1]. وقد كان له دور بارز ومهم في صياغة وبناء العقول، عن طريق خطب الجمعة والندوات والمناقشات والدروس المنعقدة فيه[2]. وفي المقابل، تحدث بعض المفكرين عن المُعاكس لما يرمز له المسجد (أي الطاعة والعبادة) وهي «المعاصي والشهوات»؛ واعتبروا أن «المعاصي بشكل عام، سبيل لسقوط الحضارات»[3]، وقد كان الجنوح للمعاصي والشهوات والموبقات من أسباب عجز الأمة الفاضح[4]. في حين تحدث آخرون عن ظاهرة «الترف» باعتبارها ظاهرة معاكسة للخصال التي يرمز إليها «المسجد»، إذ هي «ظاهرة محتقرة في القرآن الكريم، وهي من أمراض الحضارات التي تعمل في النهاية على تقوض[5] ما أنتجه الإنسان في فترات السمو الروحي والنمو العقلاني»[6].

---

(1) الآصفي، محمد مهدي. «قنوات انتقال الوراثة الحضارية»، **مجلة التوحيد**. عدد 67 (أيلول/تشرين الأول 1993م، السنة الثانية عشرة) ص62.

(2) الطريري، عبد الرحمٰن. **العقل العربي**. ص64.

(3) حسنه، عمر عبيد. ندوة: «مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر، موضوع: «مناهج التغيير ووسائله في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، ص337.

(4) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (1)**. مرجع سابق، ص143.

(5) هكذا وردت الكلمة في الأصل، وأظن الصحيح أن تكون: (تقويض).

(6) حسن، سيد دسوقي. «الهيكل الحضاري للتنمية»، **مجلة الحوار**. العددان 23، 24، ص150.

2 ـ الزوايا والطرق الصوفية:

ينظر البعض للطرق الصوفية على أنها إحدى أهم أشكال المجتمع المدني التي عرفها الوطن العربي[1]. لذا، تظهر الدعوة إلى الأخذ بأخلاقيات التصوف، كقيم قهر النفس وترويضها والسيطرة عليها، ومعاني الفتوة والتضحية والعمل اليومي من أجل النفس والآخرين، كضرورة لازمة لتقدم الأمة؛ في حين يرد التحذير من الأخذ بمظاهر التصوف كالمسابح والبخور والتكايا[2]. وفي المقابل، هنالك من يحذّر من «الزوايا والطرق الصوفية»، على اعتبار أن الاستعمار والتخلف في العالم العربي قاما بتحويل «الزوايا» عن القيام بدورها الأساسي في نشر العلم إلى «تكايا» يلجأ إليها الكسالى وتبث روح الاستسلام في الأمة، ويخرج منها كبار العملاء عن طريق استغلال الدين، وهذا كله مظهر أساسي لتخريب الأرض الصالحة للنهضة الفكرية[3]. لقد كان لتغلّب «التصوّف» (أو ما يسميه البعض «العرفان») القائم على العاطفة والوجدان على «البرهان والبيان» في الثقافة العربية، إلى انتشار الصوفية ونظام المشايخ والطرق، وإلى إعاقة كل نهضة عقلية أو حركة إصلاحية في العالم العربي[4]. لذا، يعتبر «النظام الطرقي» المبني على الأساطير والبدع، من أشد مظاهر تخلف العرب والمسلمين وسقوطهم في الحياة[5].

3 ـ الزي الإسلامي للمرأة:

يرى بعض المفكرين أن التزام المرأة المسلمة بزيها الإسلامي هو موقف حضاري يعبّر عن رفض الأمة للتبعية، وهذا الزي ما هو إلا إرساء لمنهج يفتح للأمة باب الإبداع والتنمية والنهضة[6]، فهو «نافذة على عهد جديد، عهد إسهام

---

(1) التير، مصطفى. ندوة: «المجتمع المدني في الوطن العربي» من المناقشات، ص490.

(2) النيفر، مصطفى. «التوحد والانقسام والاستيعاب في المجال الحضاري العربي الإسلامي (2)»، موضوع: «معايش الصوفية من خلال الرسالة القشيرية»، ملف العدد، **مجلة الاجتهاد**. عدد 20 (صيف 1993م) السنة الخامسة، ص58.

(3) غلاب، عبد الكريم. **من اللغة إلى الفكر**. مرجع سابق، ص181.

(4) الجابري، محمد عابد. **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص60.

(5) عبد الحميد، محسن. **تجديد الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص89 ـ 90.

(6) الأبيض، أحمد. **فلسفة الزي الإسلامي**. مرجع سابق، ص28 ـ 32.

الإبداع النسوي في الدفع الحضاري»[1]. لذلك، من الخطورة محاربة «الحجاب»، إذ تعتبر محاربته من قوانين التبعية والتخلف والاستلاب، فالحجاب يعتبر اليوم رمزاً وموقفاً نضالياً ضد الاستكبار المحلي والعالمي[2].

4 ـ من المفاهيم الإسلامية:

ذكر المفكرون العرب عدداً من المفاهيم الإسلامية الأصيلة، منها:

أ ـ مفهوم التحيز: وهذا المفهوم مستمد من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 15، 16][3]. فـ«التحيز» هو «موقف عقلي يسخّر القيم المعرفية المكتسبة ووسائل البحث ومناهجه لخدمة الموقف السابق على البرهان»[4]. وتتجلى أهمية «التحيز» في كونه يلعب دوراً مهماً في تحديد التخلف والتقدم والتحضر والرقي، وفي بناء مفاهيم تجاهها، وانطلاق سلوك ينبثق من تلك المفاهيم حولها. كما أن أخذ العلم أو الفهم من خلال الإطار المرجعي، ومن خلال موقف «التحيز» وتأثيره فيه، هو خطوة أولى على طريق نبذ التقليد والخروج من التبعية[5]. فقضية «التحيز» قضية ملحّة وعاجلة، إذ هي وثيقة الصلة بقضية الاستقلال الحضاري[6].

ب ـ مفهوم الهجرة: هو مفهوم مستمد من عدة آثار، منها قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: 5]، ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل: 10]، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ [العنكبوت: 26]. الهجرة هي

(1) المرجع السابق، ص47.
(2) المرجع السابق، ص80.
(3) للاطلاع على معنى (التحيز)، يمكن مراجعة كتاب: **إشكالية التحيز** (الجزء الأول).
(4) سعد الدين، محمد أكرم. «اعتداء الفكر العربي على ذاته اللغوية». المرجع السابق، ص216 ـ 217.
(5) جمعة علي. «كلمة في التحيز». المرجع السابق، ص122 ـ 123.
(6) الموصلي، حامد إبراهيم. «تأملات عن التكنولوجيا والتنمية من منظور حضاري». المرجع السابق، ص733.

obeikandl.com

إنجاز حضاري، بل منعة حضارية. وهي بمعناها الشامل: عملية تكيف نفسي وحسي مع حوادث الخلق، وحركة تجديد مستمر، ترتكز على انتقاء العناصر الصالحة من كل جيل من البشرية كلها، ثم إعدادها لما يناسب الطور الجديد. فالهجرة لا تصل مداها المشار إليه إلا إذا حرّرت التربية نفوس المتعلمين من الداخل، وهيّأت التطبيقات والسياسات الإدارية لتسود الحرية حياة الأمة من الخارج. الهجرة ـ هنا ـ مظهر من مظاهر التوبة من الثقافة الخاطئة، أو التي بطل مفعولها، وما يتفرع عنها من نظم، وتطبيقات، ومؤسسات، ووظائف خاطئة أو متخلفة. إن الهجرة توبة، والتوبة هجرة، وكلاهما انتقال من الخطأ والجمود والتخلف، وانتقال من البيئات التي ترعى هذه السلبيات المانعة للارتقاء، والخانقة للعيش والحياة[1]. وينبغي أن تستمر هذه الهجرة (المعنوية) وتتجدد ولا تنقطع؛ إذ هي هجرة من مستوى متدن إلى مستوى أصح وأرقى، في العمل والتفكير والضمير والسلوك وقوة الإرادة وعلو الهمة وجلال الهدف. ونهضة الأمة اليوم، مرتبطة بهذه الهجرة المعنوية الشاملة من الحضيض إلى القمة[2].

ج ـ مفهوم الإيواء: هو مفهوم مستمد من عدة آثار، منها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ [يوسف: 69]، ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: 43]، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: 6]. إن «الإيواء» أحد العناصر التي تتكون منها الأمة. وله مظاهر متعددة، منها: تقدير قيمة الأرض واستعمارها بالطرق التي وجه الله إليها، وحسن الانتفاع بها كمكان للإيواء والاستقرار، وكمصدر للعيش والغذاء، مع اشتراك الأمة كلها بالانتفاع بمصادر الثروة العامة المخزونة بها وعدم احتكارها من قبل فئة معينة؛ وتنمية قيم الاستقرار والزواج وتكوين الأسر، وما يتفرع عن ذلك من توفير للسكن ووسائل المواصلات؛ وحرمة إقامة الإنسان، وعدم طرده أو نفيه من مكان إيوائه؛ والربط بين الأمن المعيشي والأمن الديني؛ والربط بين الإيواء والفاعلية السياسية والإدارية. وحين تسود في الأمة «قيم الإيواء»، فإن القيم الإدارية للأمة ستتمحور حول

(1) الكيلاني. ماجد عرسان. **إخراج الأمة المسلمة**. مرجع سابق، ص45 ـ 51.

(2) الركابي، زين العابدين. مقال: «الهجرة من التخلف»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5667 (السبت 4/ 6/ 1994م) ص9.

«الإعداد والتخطيط» بدل «الارتجال والتفريط»، وتُعدّ للمستقبل عدته، وبذلك تحفظ مجتمعها من الأزمات، وحضارتها من الانحطاط والانهيار[1].

د ـ **مفهوم الجهاد**: وهذا المفهوم الإسلامي مستخرج من عدة آثار، منها قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: 78]. وللجهاد مظاهر متنوعة؛ أهمها: الجهاد التربوي: الذي يستهدف تزكية الإنسان من الخضوع لغرائزه وشهواته، والارتقاء به لتحقيق ذاته؛ والجهاد التنظيمي: الذي يهدف لتنظيم طاقات الأمة وقدراتها المعنوية والمادية والبشرية، والتنسيق بينها بما يضمن تكاملها؛ والجهاد العسكري: وغايته إزالة العوائق التي تحول دون الحفاظ على بقاء النوع البشري ورقيه. ولا يكون إلا حينما لا تنجح أشكال الجهاد التربوي والتنظيمي في تحقيق هذه الغاية. والمعنى الحضاري للجهاد، بشكل عام: توفير الأمن الفكري والمادي والنفسي لبقاء النوع البشري ورقيه[2].

الخلاصة: يعتبر المفكرون العرب أن المفاهيم الموجودة في «القرآن والسُّنَّة»، و«المظاهر الإسلامية» العديدة؛ ذات أثر حضاري لا يمكن إنكاره في صنع الحضارة العربية والإسلامية مجدداً.

---

(1) الكيلاني. **إخراج الأمة المسلم**. مرجع سابق، ص63 ـ 82.
وهو يستشهد لكل ذلك بعدد من الآثار القرآنية والحديثية.

(2) الكيلاني. **إخراج الأمة المسلمة**. مرجع سابق، ص52 ـ 58.